



"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا



منظمة العفو
الدولية

منظمة العفو الدولية حركة عالمية تضم ما يزيد على 7 مليون شخص
يناضلون من أجل عالم يتمتع فيه الجميع بحقوقهم الإنسانية.

وتتمثل رؤية المنظمة في أن يتمتع جميع البشر بجميع حقوق الإنسان
المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وغيره من المعايير الدولية
لحقوق الإنسان.

ومنظمة العفو الدولية منظمة مستقلة عن جميع الحكومات والعقائد

السياسية أو المصالح الاقتصادية أو المعتقدات الدينية، وتتلقى تمويلها

من أعضائها ومن التبرعات العامة.

← صورة الغلاف: أصبح من غير الممكن التعرف على معالم مدينة الرقة في

شمال سوريا بالنسبة لأولئك الذين يحاولون العودة إليها بعد المعركة التي استمرت
شهوراً بين القوات المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية وقوات الجماعة الإرهابية
المعروفة باسم تنظيم "الدولة الإسلامية" من أجل السيطرة على المدينة. ولم تعد في
المدينة مياه جارية ولا كهرباء، بينما تحولت البيوت والمتاجر والميادين العامة إلى
مجرد حطام وأنقاض.

©Amnesty International

© حقوق النشر محفوظة لمنظمة العفو الدولية، 2018

ما لم يذكر خلاف ذلك فإن محتوى المادة الوارد في هذه الوثيقة محمي بموجب
رخصة المشاع الإبداعي (يجب نسبة المادة إلى منظمة العفو الدولية، ويحظر
استخدام المادة لأية أغراض تجارية، ويحظر إجراء أي تعديل أو اجتراف في المادة
أو نشر أو عرض مواد أخرى مستقاة منها، رخصة دولية 4).

<https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/legalcode>

لمزيد من المعلومات، يرجى زيارة صفحة الأذونات على موقعنا:
www.amnesty.org

وإذا نسبت حقوق الطبع إلى جهة غير منظمة العفو الدولية، فإن هذه المادة
تكون غير خاضعة لرخصة المشاع الإبداعي.

الطبعة الأولى 2018

الناشر: مطبوعات منظمة العفو الدولية

Peter Benenson House, 1 Easton Street

London WC1X 0DW, UK

رقم الوثيقة: MDE 24/8367/2018

اللغة الأصلية: الإنجليزية

amnesty.org



منظمة العفو
الدولية

قائمة المحتويات

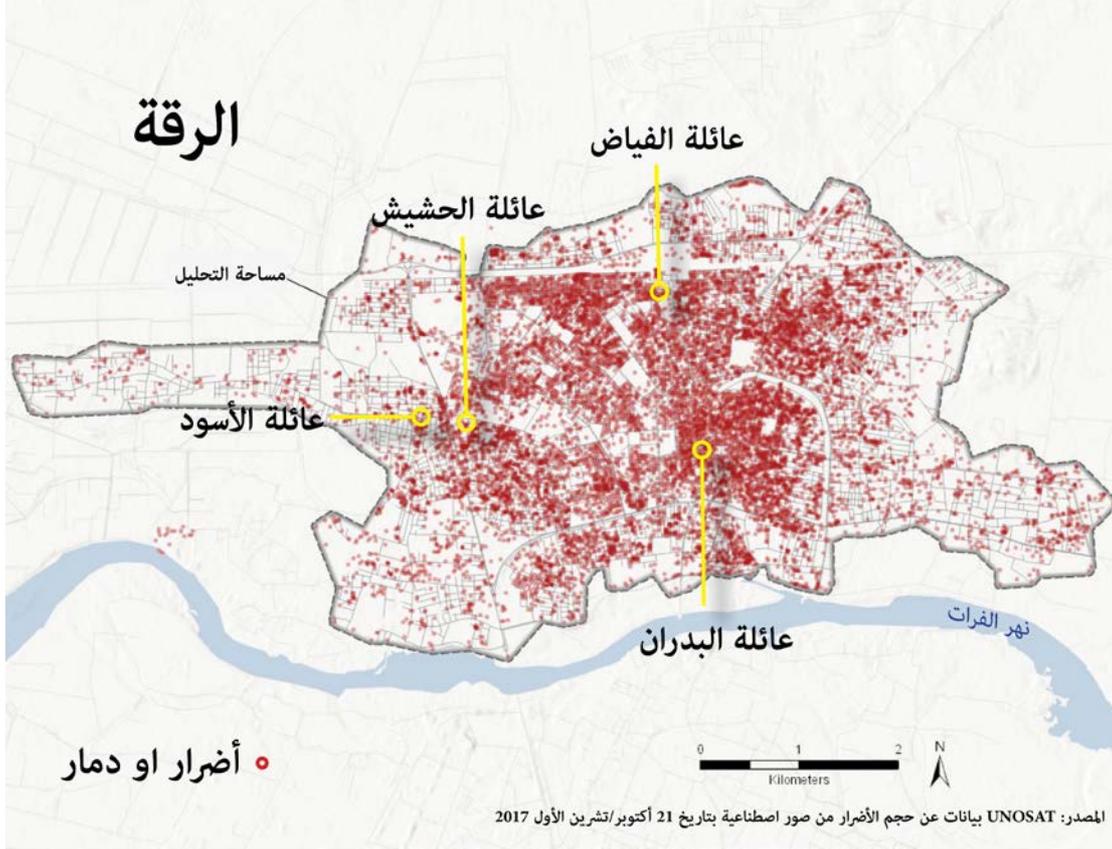
12	2. خلفية
16	3. المنهجية
17	4. المدنيون في مرمى النيران
20	عائلة الأسود
31	عائلة الحشيش
39	عائلة البدران
50	عائلة الفياض
61	5. العملية العسكرية المشتركة للتحالف و"قوات سوريا الديمقراطية" في الرقة
67	6. ردود التحالف على بواعث القلق بشأن الخسائر في صفوف المدنيين
73	7. الوضع الإنساني المرؤّع
80	8. الإطار القانوني
80	القانون الدولي الإنساني الواجب التطبيق
81	مبدأ التمييز
83	التناسب
83	الاحتياطات
84	المسؤولية المشتركة والفردية لأعضاء التحالف
85	واجب التحقيق والمحاكمة وتقديم تعويضات
87	9. نتائج وتوصيات
87	توصيات موجّهة إلى الدول الأعضاء في التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية
89	توصيات موجّهة إلى "قوات سوريا الديمقراطية"
90	توصيات موجّهة إلى "مجلس الرقة المدني"

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

خريطة



"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

1. ملخص

"لا أفهم لماذا قصفونا... ألم تكن طائرات المراقبة ترى أننا عائلات من المدنيين؟"

رشا بدران، إحدى الناجيات من الضربات الجوية

أدت العملية العسكرية التي شنتها قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على مدى أربعة أشهر، من أجل إخراج الجماعة المسلحة التي تُطلق على نفسها اسم تنظيم "الدولة الإسلامية" من مدينة الرقة السورية، التي اتخذها التنظيم عاصمةً له، إلى قتل مئات المدنيين وإصابة كثيرين آخرين فضلاً عن تدمير معظم المدينة. وفي غمار هذه العملية، التي استمرت من يونيو/حزيران إلى أكتوبر/تشرين الأول 2017، تحولت البيوت والمباني الخاصة والعامّة والبنى التحتية إلى أنقاض، أو أُصيبت بأضرار جسيمة لم يعد يجدي معها أي إصلاح.

وقد حوّر سكان الرقة ما بين، اشتداد القتال في شوارع المدينة بين مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" ومقاتلي "قوات سوريا الديمقراطية" التي يقودها الأكراد، وتعرض المدينة للضربات الجوية وعمليات القصف المدفعي التي شنتها قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة. وقد زرع تنظيم "الدولة الإسلامية" ألغاماً على طرق الهروب، وكان قنّاصوه يطلقون النار على مَنْ يحاولون الفرار، ولم يكن أمام المدنيين سوى أن يفرّوا من مكان إلى آخر داخل المدينة، في محاولات مستميتة للبحث عن ملجأ أو عن طريق للهرب. وقد قُتل بعضهم داخل بيوتهم، وقُتل البعض الآخر في الأماكن نفسها التي اتخذوها ملجأً، بينما قُتل آخرون وهم يحاولون الفرار.

وكان وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس قد وعد، قبل وقت قصير من بدء الحملة العسكرية، بشن "حرب إبادة" ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"، وهو ما كان بدايةً للتصعيد في كثافة الحملة العسكرية لقوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة ضد التنظيم. ولكن كان أثر هذه الحملة على المدنيين مديراً.

وقد سافر باحثو منظمة العفو الدولية إلى مدينة الرقة في فبراير/شباط 2018، وأمضوا هناك أسبوعين، زاروا خلالها 42 موقعاً تعرضت لضربات، وأجروا مقابلات مع 112 من الشهود والناجين. وحلّلت المنظمة صوراً ملتقطة بالأقمار الاصطناعية، كما راجعت مواد أخرى متاحة للاطلاع العام. ويوثق التقرير الحالي محنة أربع عائلات، ترْمز حالاتها لأنماط أوسع.

وتقدّم هذه الحالات أدلة جليّة على أن عدداً من الهجمات التي شنتها التحالف وأسفرت عن قتل وإصابة مدنيين تُعد انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني. وبالرغم من أن تنظيم "الدولة الإسلامية" قد فاقم من التحديات الكامنة في قتال المدن، بالانتشار وسط المدنيين واستخدامهم كدروع بشرية، فإن هذه الأساليب كانت معروفة جيداً قبل حملة الرقة. ولم تولي قوات التحالف الاعتبار الكافي لوجود المدنيين في المدينة، كما تقاعست عن اتخاذ الاحتياطات اللازمة للحد من الأضرار للمدنيين والأعيان المدنية.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

ومن تلك العائلات الأربع عائلة **الأسود**، والتي كان أفرادها من التجار الذين كدحوا طوال حياتهم حتى يتمكنوا من بناء بيت للعائلة في الرقة. وقد ظلّ بعض أفراد العائلة في المدينة عند بدء العملية العسكرية، لحماية ممتلكاتهم، واتخذوا الطابق السفلي من البيت ملجأً لهم. إلا إن قوات التحالف شنّت ضربة جوية، يوم 28 يونيو/حزيران 2017، أسفرت عن تدمير البيت ومقتل ثمانية مدنيين، معظمهم أطفال. وفي مقابلة مع منظمة العفو الدولية، روى محمد عثمان الأسود، وهو الناجي الوحيد من العائلة، ما حدث آنذاك قائلاً: "كنتُ أجلس على صفيحة نبط فارغة أمام باب الطابق السفلي أتحدث مع أبو محمود، الذي كان يجلس بجواري. كانت زوجته وأطفاله [الخمس] في الطابق السفلي مع أخي جمال... وفجأة، جاءت الضربة".

أما عمّار، أصغر أشقاء محمد والذي سبق أن فرّ من المدينة، فقد لقي مصرعه عندما داس على لغم، زرعه تنظيم "الدولة الإسلامية"، بينما كان عائداً إلى المدينة بعد أيام من الضربة، لكي يحاول انتشال جثث أقاربه.

وفقدت عائلة **حشيش** 18 من أفرادها، حيث قُتل تسعة في ضربة جوية شنّها التحالف، وقُتل سبعة بينما كانوا يحاولون الهرب عبر طريق كان تنظيم "الدولة الإسلامية" قد زرعه بالألغام، وقُتل اثنان آخران إثر إصابتهما بقذيفة هاون، على ما يبدو، قد أطلقتها "قوات سوريا الديمقراطية".

وقالت منيرة حشيش لمنظمة العفو الدولية: "من بقي في المدينة مات، ومن حاول الفرار، مات أيضاً. ولم يكن بوسعنا أن ندفع أموالاً للمهربين، كُنّا محاصرين". وقد نجت هي وعدد من أطفالها من الضربات الجوية والألغام، وتمكنوا في نهاية المطاف من الهرب، وذلك "عن طريق المشي على دماء أولئك الذين انفجرت فيهم الألغام وهم يحاولون الهرب قبلنا"، على حد قولها.

وكان المهربون، وهم في أحيان كثيرة من أعضاء تنظيم "الدولة الإسلامية" نفسه، يعرفون كيفية تفادي قناصي التنظيم والألغام التي زرعتها. وكانوا يتفاوضون عدة مئات من الدولارات عن كل شخص مقابل إرشاد المدنيين للخروج من الرقة. وتزايد المبلغ مع تطور العملية العسكرية وتسارع الجهود من جانب تنظيم "الدولة الإسلامية" لمنع المدنيين من مغادرة المدينة. ونظراً لعجز منيرة حشيش وأسرتها عن تحمل المبالغ الباهظة التي يطلبها المهربون، فقد حاولوا مغادرة المدينة بجهودهم الخاصة، بالرغم من المخاطر. وقد روت لمنظمة العفو الدولية ما حدث آنذاك قائلة:

كنا قد حاولنا أن نهرب من المدينة، ولكننا لم نستطع تدير الأمر. وبعد حوالي خمسة أيام من العيد [30 يونيو/حزيران-1 يوليو/تموز]، حاولنا الهرب عبر النهر ولكن [أفراد] "داعش" [تسمية مختصرة لتنظيم "الدولة الإسلامية"] أمسكونا، وضربوا الرجال ضرباً شديداً، واحتجزوني مع نساء أخريات في أحد البيوت لمدة يوم، ثم سمحوا لنا بالانصراف...

وفي منتصف يوليو/تموز، حاولت منيرة وعائلتها الهرب مرة أخرى، بعد مقتل زوجها وشقيقه إثر إصابتهما بقذيفة هاون. وقد سلكوا طريقاً دون أن يعرفوا أنه ملغم. وفي مقابلة مع منظمة العفو الدولية، حكى محمد، وهو أحد الأطفال الذين أُصيبوا في الانفجار ويبلغ من العمر 12 عاماً، ما حدث قائلاً:

كُنّا نمشي بهدوء، ونحاول ألا نصدر صوتاً حتى لا يسمعوننا أفراد "داعش" إذا كانوا مختبئين بالقرب منّا... وعندما وصلنا إلى نقطة قريبة جداً من الطريق الرئيسي، وجدنا أن هناك كومة صغيرة من التراب تعترض الشارع الذي كنا نسير فيه، وكان يتعيّن علينا أن نسير فوقها لكي نعبر، وما إن خطونا فوقها حتى وقع الانفجار.

وقد قُتل سبعة أشخاص من جراء الانفجار، بينما أصيب الباقون. وكان معظم القتلى والمصابين من النساء والأطفال. أما الناجون، فلم يكن أمامهم خيار سوى العودة إلى بيتهم. وبعد أيام قليلة، شنّت قوات التحالف ضربة جوية دمّرت بيتهم، وقتلت تسعة من أفراد العائلة، معظمهم نساء وأطفال.

ولعل حالة عائلة **بدران** هي أوضح مثال على المحنة التي تحملها المدنيون في الرقة خلال الحملة العسكرية. فقد قُتل 39 من أفراد العائلة، و10 من الجيران، في أربع ضربات جوية منفصلة شنّها التحالف، بينما كان أفراد العائلة ينتقلون

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

من مكان إلى آخر داخل المدينة، في محاولة مستميتة للابتعاد عن خطوط القتال التي تتغير بسرعة، فلقوا مصرعهم أو أُصيبوا في الأماكن نفسها التي اتخذوها ملجأً. وقالت رشا بدران، وهي إحدى الناجيات، لمنظمة العفو الدولية:

كنا نظن أن القوات التي جاءت لإخراج "داعش" تعرف مهامها جيداً، وأنها سوف تستهدف "داعش" وتترك المدنيين لحالهم. ولكن هذه كانت سذاجة منا. وعندما أدركنا في النهاية أن الوضع أصبح خطيراً في كل مكان، كان الوقت قد فات، فقد صرنا محاصرين.

وبينما كان أفراد عائلة بدران يتنقلون من حي إلى حي هرباً من القتال وعمليات القصف والضربات الجوية، كانوا يقعون في مرمى النيران، سواء من طائرات التحالف أو من قناصة تنظيم "الدولة الإسلامية"، والذين كانوا يسعون إلى إبقاء المدنيين في المناطق الخاضعة لسيطرة التنظيم لاستخدامهم كدروع بشرية.



شاب يحمل طفلاً ويشاهد الدمار الذي خلفه قصف المباني في الرقة. © منظمة العفو الدولية

وكان من المستحيل تقريباً بالنسبة لعائلة كبيرة كتلك أن تنتقل دون أن يُكتشف أمرها، خاصة وأن من بينها أفراد أُصيبوا في ضربة سابقة، وكان يتعين حملهم. وفي 18 يوليو/تموز 2017، وبينما كانت العائلة تحاول باستماتة الهرب من أحد الأحياء التي تتعرض لهجوم، لقي تسعة رجال من العائلة مصرعهم خلال ضربتين منفصلتين شنتهما قوات التحالف. وكان هؤلاء التسعة قد نجحوا في نقل النساء والأطفال إلى موقع آخر، وكانوا في طريقهم للحاق بهن.

وبعد شهر، حاول من تبقوا من أفراد العائلة الهرب مرة أخرى، ولكنهم تعرضوا لإطلاق النار عليهم من مسلحي تنظيم "الدولة الإسلامية"، الذين قتلوا الطبيب الذي كان يتولى تقديم الرعاية الطبية للمصابين من أفراد العائلة. ولم يكن أمام باقي المجموعة أي خيار سوى العودة إلى المكان الذي كانوا يحاولون الهروب منه. وبعد يومين، وتحديداً في 20 أغسطس/آب 2017، قصفت قوات التحالف بشكل متزامن منزلين متجاورين كان أفراد العائلة يقيمون فيهما. وأسفرت هذه الضربات الجوية عن مقتل 30 من أفراد عائلة بدران، ومعظمهم من النساء والأطفال. وكان من بين القتلى ابنة رشا بدران الرضيعة، وتُدعى "توليب" وكانت تبلغ من العمر عاماً واحداً. وقد روت رشا بدران لمنظمة العفو الدولية ما حدث آنذاك، قائلةً:

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

... الجميع تقريباً قُتلوا. لم ينج أحد غيري أنا وزوجي وشقيقه وابن عمه. وقعت الضربة في حوالي الساعة السابعة مساءً. أغمي عليّ، وعندما أفتت سمعتُ ابن عم زوجي، محمد، وهو يصيح طالباً للنجدة. لم أكن أستطيع الحركة أو الكلام. وبعد ذلك، عثر زوجي وشقيقه عليّ. كان زوجي هو الأشد إصابة [من بين الناجين]، فقد أُصيب بجرح في رأسه وكان الدم يتدفق من أذنيه. كان الظلام دامساً، ولم نكن نستطيع أن نرى شيئاً. أخذنا نصيح طلباً للنجدة، ولكن لم يرد علينا أحد، ولم يتحرك أحد. كان هناك صمت كامل، باستثناء الطائرات التي تحوم فوقنا. اختبأنا وسط الأنقاض حتى الصباح، لأن الطائرات كانت تحلّق فوقنا. وفي الصباح، وجدنا جثة تيوليب، ابنتنا الصغيرة ماتت. دفنّاها في مكان قريب بجوار شجرة.

وظل الأربعة الناجون من عائلة بردان يتنقلون من مكان إلى آخر، في محاولة للتوصل إلى سبيل للخروج من المدينة. وبعد شهر، وبينما كان الأربعة يحاولون الهرب مرة أخرى من منطقة يسيطر عليها تنظيم "الدولة الإسلامية"، أسفرت ضربة لقوات التحالف عن مصرع شقيق زوج رشا بردان وابن عمه. وبعد أسبوعين، تخللتها عدة محاولات فاشلة للهرب، تمكّنت رشا وزوجها أخيراً من مغادرة المدينة. وكان الاثنان هما الوحيدين من أفراد العائلة اللذين خرجا أحياءً.

وفي الساعات الأولى من يوم 12 أكتوبر/تشرين الأول 2017، أسفرت سلسلة من الضربات الجوية لقوات التحالف عن تدمير معظم المباني في حارة البدو، وهي آخر حي كان تحت سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية"، وبذلك وصلت معركة الرقة إلى نهايتها. وكان من بين الذين لقوا مصرعهم في القصف محمد الفياض و15 من أفراد العائلة والجيران. وكانت الضربات الجوية لقوات التحالف قد دمرت منزله ومنزل شقيق زوجته في شارع ضيق. وكان محمد الفياض، وهو في الثمانينيات من عمره ويُعرف باسم "أبو سيف"، قد رفض مغادرة منزله، الذي عاش فيه طوال 50 عاماً، عندما بدأت الحملة العسكرية على الرقة. وعندما ضربت عمليات القصف الجوي لقوات التحالف الحي الذي يقع فيه المنزل، ليلة 11-12 أكتوبر/تشرين الأول 2017، سعى الجيران الذين استبد بهم الرعب إلى الاحتماء في منزل عائلة الفياض. وكان من بينهم علي حبيب، الذي روى لمنظمة العفو الدولية ما حدث قائلاً:

كنتُ أجلس على كرسي أحمل ابني الصغير، وكانت النسوة يجلسن على الأرض يتسامرن معاً... شعرتُ أن سقف البيت قد انهار فوقي. لم أكن أستطيع أن أتحرك، ولم أجد ابني الصغير بجانبني... ناديتُ على زوجتي وأمي وابنتي، ولكن لم يرد أحد منهن... أدركتُ أن جميعهن قد ماتوا. وبعد ذلك، سمعتُ ابني محمد يستغيث، فمحنني ذلك العزيمة لكي أنتشل نفسي من الأنقاض وأذهب إليه. كان الانفجار قد ألقاه لمسافة 10 أمتار تقريباً. وقد أصبنا نحن الاثنين.

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، اتفقت "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات التحالف على وقف لإطلاق النار مع تنظيم "الدولة الإسلامية"، وبموجب الاتفاق سُمح لمقاتلي التنظيم بالخروج من المدينة عبر ممر آمن. وفي إطار هذا الاتفاق، أعدت "قوات سوريا الديمقراطية" قافلة من الحافلات أقلت مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" وعائلاتهم إلى خارج المدينة، حيث نقلتهم إلى مناطق شرق الرقة كانت لا تزال تحت سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية".

ولم يوضّح التحالف حتى الآن لماذا استمر في شنّ ضربات جوية أسفرت عن مقتل هذا العدد الكبير من المدنيين، بينما كان يجري التفاوض بشأن اتفاق يمنح مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" حصانة من المساءلة وممراً آمناً للخروج من المدينة. وكان كثير من الناجين من ضربات التحالف، ممن التقت بهم منظمة العفو الدولية، يتساءلون عن السبب الذي دفع قوات التحالف إلى تدمير مدينة بأكملها وقتل هذا العدد الكبير من المدنيين من خلال عمليات قصف، يُفترض أنها كانت تستهدف مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية"، لكي ينتهي الأمر بالسماح لهؤلاء المقاتلين بالخروج من المدينة بسلام دون أن يلحق بهم أذى.

أما "أنماط الحياة"، أو عادات السلوك اليومية، التي اعتمدها المدنيون وهم يكافحون من أجل البقاء على قيد الحياة، وسط نزاع شديد في المدينة، فلم تكن مقصورة على الرقة، ولطالما برزت أيضاً في نزاعات أخرى في بلدان أخرى. فقد كان المدنيون يتجمعون في البيوت والملاجئ، ساعين إلى الإحساس بالأمان في تجمّع أعدادهم، ويتنقلون من مكان إلى آخر بحثاً عن ملجأ، ويخرجون فجأة من المباني بعد فترات اختفوا فيها طويلاً عن الأنظار، ويتحركون بالقرب من خطوط القتال لكي يبحثوا عن الطعام أو المياه. وكان على السكان أن يتخذوا قرارات مصيرية بشأن الأماكن التي

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا



دمرت في الرقة أحياء باكملها ولا مجال لإعادة بنائها كما كانت. © منظمة العفو الدولية

يمكن أن ينتقلوا إليها بحثاً عن الأمان، وذلك بعدما حُجبت عنهم المعلومات تماماً، حيث لم يخبرهم أحد بالأنماط المتطورة للقتال، ففي غياب الاتصال الهاتفي والإنترنت وغيرها من وسائل الاتصال، أصبحوا لا يعرفون شيئاً عما يحدث حولهم. ويجب على التحالف أن يضع في الاعتبار كلاً من هذه العوامل التي تؤثر على سلوك المدنيين.

وفي جميع الحالات المفصلة في التقرير الحالي، شنت قوات التحالف ضربات جوية على بنايات مكتظة بالمدنيين، باستخدام ذخائر ذات تأثير واسع النطاق، وكان من الممكن توقع أنها ستؤدي إلى تدمير تلك البنايات. وفي جميع الحالات الأربع، كان المدنيون الذين قُتلوا وأصيبوا في الهجمات، وبينهم نساء وأطفال، يقيمون في تلك البنايات لفترات طويلة قبل الضربات. ولو كانت قوات التحالف قد أجرت مراقبة دقيقة لهذه المواقع قبل الضربات، لأصبحت على علم بوجود المدنيين فيها. ولم تتوصل منظمة العفو الدولية إلى أية معلومات تشير إلى وجود مقاتلين من تنظيم "الدولة الإسلامية" في تلك المباني عند تعرضها للضربات، كما إن الناجين من هذه الضربات والشهود عليها أفادوا بأنهم لم يكونوا على علم بوجود مقاتلين لتنظيم "الدولة الإسلامية" بالقرب من المباني وقت وقوع الضربات. وحتى لو كان مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية" موجودين هناك، فإن هذا لا يبرر استهداف مساكن المدنيين هذه بذخائر يُتوقع أن تسبب ذلك الدمار الواسع النطاق.

وما زال التحالف يرفض حتى الآن الإقرار بمدى الضرر الذي ألحقته الحملة العسكرية بالمدنيين. ففي سبتمبر/أيلول 2017، بينما كان النزاع في ذروته، كتب قائد قوات التحالف آنذاك، الجنرال ستيفن تاونسند، قائلاً إنه "... لم يحدث مطلقاً أن كانت هناك حملة جوية أكثر دقة [من الحملة الحالية] في تاريخ النزاع المسلح". إلا إن هذه الحملة الجوية الدقيقة أدت إلى قتل مئات المدنيين. وفي الوقت نفسه، فإن أنشطة مشاة البحرية الأمريكية ("المارينز")، كما وصفها الرائد جون واين تروكسيل (كبير المستشارين لدى رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية)، توحى بأن العملية العسكرية للتحالف كانت أبعد ما تكون عن الدقة، حيث قال: "خلال خمسة أشهر، أطلقت [كتيبة من مشاة البحرية الأمريكية] 30 ألف قذيفة مدفعية على أهداف لتنظيم "الدولة الإسلامية"... وأطلقت خلال خمسة أشهر عدداً من

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

القذائف في الرقة بسوريا يفوق ما أطلقته أية كتيبة مدفعية أخرى تابعة لمشاة البحرية، أو أية كتيبة بحرية أو برية، منذ حرب فيتنام".

وبالنظر إلى أن هامش الخطأ في قذائف المدفعية التقليدية، التي تُطلق من مدافع طراز "هويتزر م 777"، يزيد عن 100 متر، فإن إطلاق هذا العدد الكبير من القذائف على مدينة حُوصر فيها المدنيون في كل حي من أحيائها كان يشكّل خطراً على المدنيين لا يمكن قبوله. إلا إنه بالرغم من الأدلة التي لا تقبل الجدل على وقوع خسائر كبيرة في صفوف المدنيين، وبالرغم من حجم الدمار في مدينة الرقة، فإن رواية التحالف عن الأحداث لم تتغير.

ويُذكر أن التحالف الدولي لهزيمة تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا قد شكّل في عام 2014. وسعى التحالف، الذي أطلق على عملياته العسكرية اسم "العزيمة الصلبة"، إلى تقديم نفسه باعتباره تحالفاً دولياً يحظى بدعم واسع النطاق من دول ومؤسسات في شتى أنحاء العالم. إلا إن العملية العسكرية التي نُفذها في مدينة الرقة ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" كانت في الأغلب الأعم عملية عسكرية أمريكية. فقد أطلقت القوات الأمريكية، التي كان يقودها جنرال أمريكي، جميع قذائف المدفعية التي وُجّهت إلى الرقة، كما نُفذت هذه القوات ما يزيد على 90 بالمئة من الضربات الجوية. وكانت القوات البريطانية والفرنسية هي القوات الوحيدة الأخرى، من بين قوات الدول الأعضاء في التحالف، التي شنت ضربات جوية على الرقة. ووقّرت "قوات سوريا الديمقراطية" القوات البرية اللازمة لدخول المدينة سيراً على الأقدام، كما تحمّلت جانباً من المسؤولية عن تحديد الأهداف للضربات الجوية، وعمليات القصف المدفعي التي شنتها قوات التحالف. وليس من الواضح نسبة الضربات الجوية وعمليات القصف المدفعي التي نُفذتها قوات التحالف استناداً إلى بيانات إحصائية حدّتها "قوات سوريا الديمقراطية"، وليس من الواضح أيضاً إلى أي مدى كانت قوات التحالف تتحقق من الأهداف التي حدّتها "قوات سوريا الديمقراطية".

وبالرغم من مرور ثمانية أشهر على انتهاء العملية العسكرية، فما زال معظم سكان المدينة مشرّدين، أما الذين عادوا إلى ديارهم فيعيشون في أوضاع مُزرية بين تلال من الأنقاض، تنبعث منها روائح الجثث التي تكدّست تحت الحطام، كما يواجهون خطر الموت أو الإصابة من جراء الألغام والعبوات الناسفة العشوائية والذخائر التي لم تنفجر. وقد كان جميع سكان الرقة تقريباً، ممن تحدّث معهم منظمة العفو الدولية، يتساءلون لماذا يُحجم أولئك الذين أنفقوا أموالاً طائلة على حملة عسكرية باهظة التكاليف من أجل تدمير المدينة عن تقديم مساعدات الإغاثة في أعقابها للسكان الذين هم في أمسّ الحاجة إليها، بما في ذلك المعدات الضخمة اللازمة لرفع الأنقاض وانتشال الجثث وتطهير الألغام والعبوات الناسفة العشوائية.

وتطالب منظمة العفو الدولية الدول الأعضاء في التحالف أن تقرّ علناً بمدى وفداحة إزهاق أرواح مدنيين وتدمير ممتلكات وسبل عيش من جراء الضربات الجوية لقوات التحالف في مدينة الرقة، ويجب على التحالف أن ينشر المعلومات اللازمة للتحقق من المسؤولية عن وفاة مدنيين خلال العملية العسكرية، بما في ذلك تاريخ وتوقيت كل من الضربات التي نُفذتها قوات التحالف، وموقعها على وجه الدقة، والأسلحة المستخدمة فيها، والأهداف المقصودة من ورائها. كما تطالب منظمة العفو الدولية التحالف أن يُفصح عن الإجراءات التي اتخذها للتحقق، مما إذا كانت المواقع التي استهدفها تمثل أهدافاً عسكرية حقاً، وللتحقق من وجود مدنيين بالقرب منها، وكذلك الاحتياطات التي اتُخذت للحد من الأضرار. وينبغي على التحالف أن يجري مراجعة عاجلة للإجراءات التي يقيّم من خلالها الادعاءات بشأن الخسائر في صفوف المدنيين، ولاسيما الأسباب التي دعت إلى اعتبار كثير من الحالات "غير موثوقة"، ومن ثم لا تستدعي مزيداً من التحقيقات.

وبالإضافة إلى ذلك، يجب على التحالف أن يبادر على وجه السرعة بإنشاء آلية مستقلة ونزيهة تتولى إجراء تحقيقات فعّالة وعاجلة في الأبناء الموثوقة عن وقوع انتهاكات للقانون الدولي الإنساني، وأن يعلن عن نتائج هذه التحقيقات، وأن يُشكّل الآليات اللازمة لتقديم تعويضات كاملة على وجه السرعة للضحايا ولعائلات الضحايا، مع تخصيص الاعتمادات المالية الكافية لهذا الغرض. كما تهيب منظمة العفو الدولية بالتحالف أن ينشئ آلية تكفل استخلاص الدروس والتعلّم منها، وتضمن أن تُنفذ الضربات في عمليات التحالف العسكرية الجارية حالياً في سوريا على نحو يتماشى بشكل كامل مع قواعد القانون الدولي الإنساني، وكذلك أن يقدّم الموارد اللازمة لتطهير الألغام

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

والذخائر التي لم تنفجر. وفي حالة توفر أدلة يُعتد بها على مسؤولية أفراد من قوات التحالف عن ارتكاب جرائم حرب، يجب على التحالف أن يضمن محاكمتهم في محاكمات عادلة دون اللجوء إلى عقوبة الإعدام.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

2. خلفية

كانت الرقّة هي أول مدينة سورية كبرى وأول عاصمة لمحافظة تقع تحت سيطرة جماعات المعارضة المسلّحة خلال الأزمة والنزاع التالي لها، والذي اجتاح البلاد منذ عام 2011. ففي مطلع مارس/آذار 2013، تمكّنت جماعات مسلّحة، من بينها جماعة "أحرار الشام" و"جبهة النصرة" وهما جماعتان إسلاميتان، من طرد القوات الحكومية من المدينة. وبحلول يوليو/تموز 2013، كان تنظيم "الدولة الإسلامية" قد حقّق وجوداً قوياً في المدينة، وبحلول نهاية العام كان قد سيطر عليها سيطرةً كاملة، بعد صراع على النفوذ مع الجماعات المسلّحة الأخرى.¹ وأصبحت الرقّة موقع جذب للجهاديين الطامحين، كما اتخذها تنظيم "الدولة الإسلامية" عاصمةً بحكم الواقع الفعلي لما أسماه التنظيم "دولة الخلافة"، وذلك مع سيطرة التنظيم على مساحات شاسعة من سوريا والعراق في عام 2014. وظلّت المدينة خاضعةً لسيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية، إلى أن تمكّنت الحملة العسكرية المشتركة لقوات التحالف و"قوات سوريا الديمقراطية" من إخراج التنظيم من المدينة.

ويُذكر أن التحالف الدولي لهزيمة تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وسوريا قد شكّل في عام 2014، وأطلق على حملته اسم "عملية العزم الصلب"، ووصف مهمته على النحو التالي: "بالتعاون مع القوات الشريكة، تهدف "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" إلى هزيمة تنظيم "الدولة الإسلامية" في مناطق محددة من العراق وسوريا، وتهيئة الأوضاع لعمليات لاحقة من أجل تعزيز الاستقرار في المنطقة".² وبدأت "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" حملتها العسكرية المشتركة لإخراج تنظيم الدولة الإسلامية من مدينة الرقّة يوم 6 يونيو/حزيران 2017، وأُعلن إتمام العملية يوم 17 أكتوبر/تشرين الأول 2017.

أما "قوات سوريا الديمقراطية" فهي ميليشيا محلية شكّلت في أكتوبر/تشرين الأول 2015، وتضم بعض العرب والأعراق الأخرى، ولكن أغلب أعضائها هم أفراد القوات الكردية المعروفة باسم "وحدات حماية الشعب". وقد أعلنت "قوات سوريا الديمقراطية" شن عملية "غضب الفرات" لإخراج تنظيم "الدولة الإسلامية" من الرقّة والمناطق المحيطة بها يوم 6 نوفمبر/تشرين الثاني 2016، وخلال الشهور الستة التالية، سيطرت "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات التحالف على عدة قرى وبلدات حول الرقّة. وفي 6 يونيو/حزيران 2017، بدأت عملية عسكرية على مدينة الرقّة.

وقد زار مندوبون من منظمة العفو الدولية منطقة شمال شرق سوريا في يوليو/تموز وأغسطس/آب 2017، لتقصي مسلك القوات المتحاربة خلال المعارك والإجراءات التي اتخذتها أطراف النزاع، أي قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والقوات المحلية الشريكة له وهي "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات خصمهما تنظيم "الدولة الإسلامية"، من أجل حماية المدنيين تماشياً مع الالتزامات القانونية لهذه الأطراف. وفي 24 أغسطس/آب 2017، نشرت منظمة

¹ تنظيم "الدولة الإسلامية" يُعرف أيضاً باسم "الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وأحياناً ما يُشار إليه باسم "الدولة الإسلامية في بلاد الشام". كما يُشار إليه عموماً باسم "داعش"، وهي الحروف العربية الأولى من اسمه.

² "بيان المهمة"، "عملية العزم الصلب". [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:

<http://www.inherentresolve.mil/Portals/14/Documents/Mission/20170717-%20Updated%20Mission%20Statement%20Fact%20Sheet.pdf?ver=2017-07-17-093803-770>

العفو الدولية تقريراً أعربت فيه عن مخاوف شديدة بشأن لجوء قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة إلى استخدام قذائف المدفعية والضربات الجوية بشكل مكثف في الرقة، وبشأن عدم قانونية بعض هذه الضربات.³ وأعربت المنظمة عن قلقها، بشكل خاص، بشأن العملية التي تقدّم بموجبها "قوات سوريا الديمقراطية" بيانات بإحداثيات المواقع المستهدفة للضربات الجوية وعمليات القصف المدفعية، التي تنقّذها لاحقاً قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة، وكذلك بشأن اختيار الأسلحة للقتال في المدينة من جانب "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات التحالف. فقد استخدمت "قوات سوريا الديمقراطية" قذائف هاون أمريكية الصنع غير موجّهة، ومن ثم لم تكن قادرة على التمييز بين المدنيين والمقاتلين في مناطق المدينة المأهولة بالسكان، وهو ما حدث بالمثل مع قذائف المدفعية غير الموجّهة التي استخدمتها قوات التحالف. ومن بواعت القلق الرئيسية الأخرى ضخامة الوزن الصافي المتفجر للذخائر المستخدمة في الضربات الجوية، والتي يتأكد معها أن المدنيين في المناطق القريبة من المواقع المُستهدفة سوف يتعرضون للقتل والتشويه.

وفور نشر تقرير منظمة العفو الدولية، طالب المستشار الخاص لمبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا بوقف مؤقت للأعمال القتالية من أجل السماح للمدنيين بمغادرة مدينة الرقة.⁴ وكان التحالف قد رفض في بادئ الأمر النتائج التي توصلت إليها منظمة العفو الدولية.⁵

ومع ذلك، لم يقبل التحالف، على ما يبدو، أيّاً من النتائج الأساسية التي توصل إليها تقرير المنظمة خلال الأسابيع التي أعقبت نشر التقرير. وكان من بين التوصيات التي قدمتها المنظمة في هذا التقرير أن يوسّع التحالف من نطاق تحقيقاته بخصوص الحوادث التي زُعم فيها وقوع إصابات بين المدنيين، بحيث تشمل زيارات لمواقع الحوادث ومقابلات مع الشهود. وقد ذكرت "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، للمرة الأولى، في تقريرها الصادر في سبتمبر/أيلول 2017 عن الإصابات في صفوف المدنيين، أن "التحقيقات تشمل مقابلات مع شهود وفحص للموقع كلما

³ منظمة العفو الدولية، "لن أنسى هذه المذبحة": مدنيون مُحاصرون في معركة الرقة-سوريا" (رقم الوثيقة: MDE

24/6945/2017)، 24 أغسطس/آب 2017. مُتاح على الرابط:

<https://www.amnesty.org/ar/documents/mde24/6945/2017/en/>

⁴ "المستشار الخاص لمبعوث الأمم المتحدة لسوريا يقول: 'لا يوجد مكان على الأرض أسوأ من الرقة بسوريا'، ويدعو إلى وقف مؤقت للقتال"، "أخبار الأمم المتحدة"، 24 أغسطس/آب 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:

<https://news.un.org/en/story/2017/08/563802-no-worse-place-earth-syrias-raqqa-says-senior-un-adviser-urging-pause-fighting>

⁵ المصدر السابق. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي ترفض فيها القيادة العسكرية للتحالف أن تأخذ على محمل الجد بواعت قلق منظمة العفو الدولية بشأن مسلكها في العمليات القتالية خلال الحرب مع تنظيم "الدولة الإسلامية". فقد سبق لمنظمة العفو الدولية أن نشرت تقريراً عرضت فيه بحوثها التي تبين بالتفصيل التقاعس عن حماية المدنيين خلال المعركة من أجل السيطرة على غرب الموصل، وهو بعنوان: "مهما كان الثمن: الكارثة المدنية في غرب الموصل" (رقم الوثيقة: MDE

14/6610/2017)، 11 يوليو/تموز 2017، ومُتاح على الرابط: <https://www.amnesty.org/ar/latest/campaigns/2017/07/at-any-cost-civilian-catastrophe-in-west-mosul-iraq/>

وفي معرض الرد على تقرير المنظمة، وجّه كل من الجنرال ستيفن تاونسند ونائبه البريطاني الجنرال روبرت جونز اتهامات لمنظمة العفو الدولية بأنها "لا تفهم واقع الحرب". ومضى القائد العسكري البريطاني إلى أبعد ذلك، ووصف منظمة العفو الدولية بأنها "ساذجة وغير مسؤولة إلى حد بعيد"، وذلك لأنها أعربت عن مخاوف بشأن حماية المدنيين في الموصل. انظر: "ملاحظات للجنرال تاونسند في لقاء مع وسائل الإعلام في بغداد، بالعراق"، وزارة الدفاع الأمريكية، 11 يوليو/تموز 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.defense.gov/News/Transcripts/Transcript-View/Article/1244058/remarks-by-general-townsend-in-a-media-availability-in-baghdad-iraq/>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

أمكن ذلك...".⁶ إلا إن منظمة العفو الدولية ليس لديها علم بأية حالات قام فيها محققو التحالف بزيارة مواقع الضربات أو بإجراء مقابلات مع شهود.

كما عرض تقرير منظمة العفو الدولية، الصادر في أغسطس/آب 2017، بالتفصيل انتهاكات ارتكبتها تنظيم "الدولة الإسلامية" ضد المدنيين خلال المعركة من أجل السيطرة على مدينة الرقة، ولاسيما لجوء التنظيم إلى استخدام المدنيين كدروع بشرية مع استمرار النزاع ومضاعفة جهود التنظيم من أجل منع المدنيين من مغادرة المدينة. فقد زرع تنظيم "الدولة الإسلامية" عدداً من الألغام والعبوات الناسفة المُرتجلة من أجل إبطاء تقدم "قوات سوريا الديمقراطية" وإعاقة المرور عبر طرق الخروج من المدينة،⁷ كما أقام نقاط تفتيش حول المدينة لمنع السكان من المغادرة، وكان قنّاصو التنظيم يطلقون النار ويقتلون عمداً أي مدنيين يحاولون الهروب.⁸ ومع سيطرة "قوات سوريا الديمقراطية" على بعض الأحياء، وانتقال جبهات القتال إلى داخل المدينة، أُجبر تنظيم "الدولة الإسلامية" السكان على الانتقال إلى مناطق في عمق المدينة كانت لا تزال تحت سيطرة التنظيم.



نساء يتمشين في شارع مليء بالحطام إلى جانب أبنية مدمرة في الرقة. © منظمة العفو الدولية

وقد استخف تنظيم "الدولة الإسلامية" بشكل صارخ معظم القواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني. فقد حصر المدنيين داخل أحيائهم السكنية واستخدمهم كغطاء لعملياته العسكرية. وكان أفراد التنظيم يقتحمون بيوت السكان عنوةً ويستخدمونها كمخابئ لإخفاء تحركاتهم ومواقع لإطلاق النار على "قوات سوريا الديمقراطية". وكان الزي الذي

⁶ "التقرير الشهري لقوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب عن الإصابات في صفوف المدنيين"، "عملية العزم الصلب"، 29 سبتمبر/أيلول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/News-Releases/News-Article-View/Article/1329201/cjtf-oir-monthly-civilian-casualty-report/-/>

⁷ تُعد العبوات الناسفة المُرتجلة، التي يصنّعها تنظيم "الدولة الإسلامية"، محلياً من الذخائر التي تنشط بفعل الصحة، وهي تؤدي بوجه عام وظيفة الألغام المضادة للأفراد، ولهذا فهي محظورة بموجب القانون الدولي الإنساني، ويُشار إليها في التقرير الحالي بتعبير "الألغام أو العبوات الناسفة المُرتجلة".

⁸ يُستخدم تعبير "القنّاصة" في سياق التقرير الحالي للإشارة إلى مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية"، الذين كانوا يستهدفون الناس من مواقع خفية، حتى وإن لم يُعرف على وجه الدقة نوع الأسلحة النارية التي استخدموها.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

فرضه تنظيم "الدولة الإسلامية" على المدنيين ومقاتلي التنظيم على حد سواء يجعل من الصعب على "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات التحالف التمييز بين المقاتلين والمدنيين.

وكان سكان الرقة المدنيون، الذين استماتوا في سعيهم لنقل عائلاتهم إلى مناطق آمنة، يُضطرون إلى دفع مبالغ للمهربين، الذين يعرفون الشوارع الملقمة وأماكن تمرکز القنّاصة، من أجل إرشادهم إلى طرق الخروج من المدينة، أو الخروج من الأحياء التي كانت لا تزال تحت سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية"، وذلك مع تقدم سير المعارك. وكان هؤلاء المهريّون، ومعظمهم من أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية"، يتقاضون عدة مئات من الدولارات عن كل شخص، وهي مبالغ لم يكن بمقدور كثير من العائلات أن تتحملها. وقد تعرض كثيرون ممن عجزوا عن دفع أموال للمهربين ومن حاولوا الهروب بأنفسهم للقتل والإصابة من جراء الألغام والعبوات الناسفة المرّجلة.

وقد خلصت التحقيقات الميدانية، التي أجرتها منظمة العفو الدولية في الرقة بعد انتهاء العملية العسكرية، إلى تأكيد بواعث القلق التي أعربت عنها المنظمة في تقريرها السابق. وتُعدّ الحالات الأربع التي يعرضها التقرير الحالي تفصيلاً مجرد أمثلة على نمط أوسع تجلّى طوال العملية العسكرية، حيث تجاهل التحالف معالجة بواعث القلق التي أثّرت في بدء العملية بشأن الإصابات في صفوف المدنيين. وما زال هذا تجاهل مستمراً، مع تقاعس التحالف عن إجراء تحقيقات وافية، وتقديم تعويضات للضحايا، وتوفير مساعدات إنسانية تتناسب مع حجم الدمار الذي تسبب فيه.



صورة للرقة من الفضاء، في 16 تشرين الأول 2017، Distribution AIRBUS DS.2017، © CNES 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

3. المنهجية

يستند التقرير الحالي إلى البحوث الميدانية التي أجريت في الفترة من 5 إلى 16 فبراير/شباط 2018 في مدينة الرقة، حيث زار باحثو منظمة العفو الدولية 42 موقعاً تعرضت لضربات جوية وعمليات قصف بالمدفعية وقذائف الهاون، كما زاروا أماكن قُتل وأُصيب فيها مدنيون من جراء الألغام والعبوات الناسفة المُرتجلة التي زرعتها تنظيم "الدولة الإسلامية". وفي الوقت الذي زار فيه باحثو المنظمة مدينة الرقة، كان بالإمكان الوصول إلى جميع أحياء المدينة، وإن تعذر المرور ببعض الطرق ودخول بعض المباني نظراً لاحتمال وجود ألغام أو عبوات ناسفة مُرتجلة. وقد زار باحثو المنظمة جميع الأحياء في الرقة، وأمضوا وقتاً كبيراً في الأحياء التي يتناولها التقرير الحالي، وهي منطقة مفرق الجزيرة، وحي الدرعية، ونزلة شحادة، وحرارة السخاني، وحي الفردوس، وحرارة البدو.

وأجرى باحثان من منظمة العفو الدولية مقابلات مع 112 مدنياً من سكان الرقة. وأجريت مقابلات منفصلة لكل حالة مع عدد من الناجين والشهود وأقارب الضحايا. وأجريت معظم المقابلات في الرقة، وأجريت بعض المقابلات في مواقع أخرى بشمال سوريا، ومن بينها مدينة الطبقة. وأجريت جميع المقابلات باللغة العربية بمعرفة باحثي المنظمة، على انفراد دون حضور أي من المسؤولين أو أية أطراف أخرى. وسجّل باحثو المنظمة تسجيلات صوتية ومرئية لأجزاء من المقابلات، في الحالات التي كان فيها المشاركون يبدون موافقة على ذلك. وقد رفض معظم المشاركين التقاط صور لهم خوفاً من التعرض لأعمال انتقامية مستقبلاً. وغيّرت أسماء بعض الشهود الذين وردت شهاداتهم في التقرير الحالي حرصاً على سلامتهم.

كما أجرت منظمة العفو الدولية مقابلات مع بعض المهنيين الطبيين وموظفي الإغاثة الإنسانية العاملين في الرقة وفي مناطق أخرى في شمال شرقي سوريا، وكذلك مع بعض أفراد الجيش وقوات الأمن في الرقة، وبعض أعضاء "مجلس الرقة المدني"، وبعض أفراد القوات العسكرية الدولية والخبراء العسكريين والصحفيين العاملين في الرقة وحولها. واطّلت المنظمة على مواد مكتوبة وأخرى سمعية وبصرية مُتاحة للاطلاع العام من مصادر مختلفة، بما في ذلك مصادر من دول أعضاء في التحالف، وتحققت من صحتها، وأجرت تحليلات فنية متخصصة لصور بالأقمار الاصطناعية لعدة مواقع في الرقة وحولها، التُقطت في تواريخ مختلفة قبل العملية العسكرية في الرقة ومنذ بدايتها.

وسجّلت منظمة العفو الدولية إحدائيات جميع الضربات التي يتناولها التقرير الحالي. واستناداً إلى زيارات مواقع الأحداث وتحليلها، بالإضافة إلى روايات الناجين والشهود، تمكّنت المنظمة من تحديد ما إذا كانت هذه الحوادث قد وقعت من جراء ضربات جوية، أو عمليات قصف مدفعي أو قصف بقذائف الهاون، أو نجمت عن ألغام أو عبوات ناسفة مُرتجلة زرعتها تنظيم "الدولة الإسلامية". وفي بعض الحالات، توفرت معلومات إضافية عن الطرف الذي يُحتمل أن يكون قد نفذ بعض الضربات، وذلك من خلال بقايا الذخائر التي عُثر عليها في مواقع الضربات، وحلّلتها خبراء عسكريون.⁹

⁹ في معظم الحالات، كان البحث عن شظايا ذخائر في أنقاض المباني التي تعرضت للقصف أمراً بالغ الخطورة، نظراً لوجود ذخائر لم تنفجر وألغام وعبوات ناسفة مُرتجلة على نطاق واسع في الرقة.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

4. المدنيون في مرمى النيران

"إذا بقيت، فسوف تموت، وإذا حاولت الهرب، فمصيرك الموت أيضاً"

منيرة الحشيش، إحدى الناجيات من الضربات الجوية والألغام

صرّح مسؤولون في قوات التحالف مراراً بأنهم يعتزمون الحد من الأضرار التي تلحق بالمدنيين عند تنفيذ هجماتهم على تنظيم "الدولة الإسلامية"، وذلك تماشياً مع التزاماتهم بموجب القانون الدولي الإنساني.¹⁰ وتحقق ذلك، على ما يبدو، في كثير من الضربات في الرقة، بما في ذلك بعض الضربات التي تقصّت منظمة العفو الدولية ملامساتها. ومع ذلك، ففيما يتعلق بهجمات أخرى شنتها قوات التحالف، بما في ذلك الهجمات المعروضة تفصيلاً في التقرير الحالي، تتوفر أدلة جلية وقوية على أنها مثّلت انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني، ومن ثم فهي تُعتبر هجمات غير مشروعة.¹¹ ومن المستحيل أن يُحدد على وجه القطع عدد الضربات غير المشروعة بدون الحصول على مزيد من المعلومات، التي لا يستطيع أي طرف أن يقدمها سوى التحالف نفسه. وحتى الآن، لم يعلن التحالف عن مثل هذه المعلومات اللازمة لذلك التحديد.¹² وقد طلبت منظمة العفو الدولية معلومات من التحالف، وكانت لا تزال في انتظار رد منه وقت كتابة التقرير الحالي.

¹⁰ "تماشياً مع قانون النزاعات المسلحة، فإن ضربات التحالف تقتصر على الأهداف العسكرية الجائزة قانوناً، بعد الأخذ في الاعتبار مبادئ الضرورة العسكرية، والاعتبارات الإنسانية، والتناسب، والتمييز"، الجنرال ستيفن تاونسند، القائد العام لقوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، في مقال بمجلة "فورن بوليسي" (السياسة الخارجية)، 15 سبتمبر/أيلول 2017. [بالإنجليزية].
مُتاح على الرابط: <http://foreignpolicy.com/2017/09/15/reports-of-civilian-casualties-from-coalition-strikes-on-isis-are-vastly-inflated-It-gen-townsend-cjtf-oir/>

¹¹ لمزيد من المعلومات المفصلة عن أحكام القانون الدولي الإنساني ذات الصلة بالتقرير الحالي، انظر الجزء التالي بعنوان: "الإطار القانوني".

¹² هذه المعلومات اللازمة تشمل، بالأخص، مواقع الضربات على وجه الدقة، والأسلحة المستخدمة فيها، والاعتبارات وراء استهداف هذه المواقع. ويؤكد التحالف، في "بيانات الغارات الجوية" التي يصدرها أن "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" لا تذكر أصناف أو أعداد الطائرات أو عدد الذخائر التي تم استعمالها خلال الغارة، كما إنها لا تذكر عدد وكمية الذخيرة في كل غارة ولا عدد الحفر التي أحدثتها الذخيرة في الهدف". وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعريف التحالف لما يُعد "غارة" يجعل من المستحيل معرفة عدد الغارات، حيث يقول إنه: "... إذا تم استعمال طائرة تستهدف بغارة واحدة... سيارة واحدة لتنظيم "داعش" [فإن هذا] يُعد غارة جوية واحدة، وكذلك الحال إذا تم استعمال العديد من الطائرات [التي تلقي] العشرات من القذائف لقصف مجموعة من مباني وسيارات [تحت سيطرة تنظيم "داعش"] ومنظومات أسلحة موجودة في مجمع ما...". انظر: "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، "ملخص الضربات". مُتاح على الرابط: http://www.inherentresolve.mil/arabic_strike_releases/

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

وتشير البحوث الميدانية التي أجرتها منظمة العفو الدولية في الرقة بخصوص عدد من الحالات، بما في ذلك تقصي المواقع والمقابلات مع بعض الناجين والشهود، إلى أن قوات التحالف قد تقاعست عن اتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة للحد من الأضرار للمدنيين، وفي بعض الحالات، بدأ أنها شنت ضربات كان من المرجح أن تسبب أضراراً شديدة للمدنيين، أو شنت ضربات لم تميّز بين الأهداف العسكرية والمدنيين، مما يُعد انتهاكاً لمبدأي التمييز والتناسب. وتُعتبر الهجمات غير المتناسبة والهجمات العشوائية التي تسفر عن قتل أو إصابة مدنيين من جرائم الحرب.

وينطوي القتال في المناطق السكنية في المدن على تحديات جوهرية. وقد تفاقمت هذه التحديات في الرقة من جراء إصرار تنظيم الدولة الإسلامية على ممارسة أنشطته وسط السكان المدنيين، وعلى استخدام المدنيين كدروع بشرية. وبينما كانت العملية العسكرية في الرقة مستمرة، وتُقت بشكل كبير أساليب العمليات التي اتبعتها تنظيم "الدولة الإسلامية"، بما في ذلك أساليبه خلال العملية العسكرية في مدينة الموصل بالعراق، والتي مثلت تحديات مشابهة وكانت تشرف على مراحلها النهائية عندما بدأت العملية العسكرية في الرقة. ولم تولّ قوات التحالف الاعتبار الكافي لوجود أعداد كبيرة من المدنيين في جميع أحياء المدينة بينما كان القتال يدور في تلك المناطق.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن "أنماط الحياة"، أو عادات السلوك اليومية، التي اعتمدها المدنيون وهم يكافحون من أجل البقاء على قيد الحياة وسط نزاع شديد الكثافة يدور حولهم في المدينة، لم تكن مقصورة على الرقة، ولطالما برزت أيضاً في نزاعات أخرى في بلدان أخرى. ومن هذه الأنماط تجمّع المدنيين في البيوت والملاجئ، سعياً إلى الإحساس بالأمان في تجمّع أعدادهم، والتنقل من مكان إلى آخر بحثاً عن ملجأ، والخروج فجأة من المباني بعد فترات كمون طويلة، والتحرّك بالقرب من خطوط القتال بحثاً عن الطعام أو المياه، وفي بعض الأحيان امتناع المدنيين عن مغادرة مناطقهم خوفاً من فقد ممتلكاتهم أو خوفاً من التعرض لمخاطر أثناء الهروب، أو للسببين معاً.

وفي جميع الحالات المفصّلة في التقرير الحالي، شنت قوات التحالف ضربات جوية على بنايات مكتظة بالمدنيين، باستخدام ذخائر ذات تأثير واسع النطاق، وكان من الممكن توقُّع أنها ستؤدي إلى تدمير تلك البنايات. وفي جميع الحالات الأربع، كان المدنيون الذين قُتلوا وأصيبوا في الهجمات، وبينهم نساء وأطفال، يقيمون في تلك البنايات لفترات طويلة قبل الضربات. ولو كانت قوات التحالف قد أجرت مراقبة دقيقة لهذه المواقع قبل الضربات، لأصبحت على علم بوجود المدنيين فيها.

ولم تتوصل منظمة العفو الدولية إلى أية معلومات تشير إلى وجود مقاتلين من تنظيم "الدولة الإسلامية" في تلك المباني عند تعرضها للضربات. وكانت جميع المباني المُستهدفة، باستثناء واحد منها فقط، عبارة عن بيوت من طابق واحد وتحيط بها أبنية أكثر ارتفاعاً، أي أنها لا تمثّل نقاطاً ذات ميزة استراتيجية لقتال تنظيم "الدولة الإسلامية"، ولا تُوفّر حماية خاصة لمقاتلي التنظيم، بالمقارنة بالمباني الأخرى الأكثر ارتفاعاً وثباتاً في المنطقة. كما إن الناجين من هذه الضربات لم يكونوا على علم بوجود مقاتلين لتنظيم "الدولة الإسلامية" بالقرب من البيوت وقت وقوع الضربات، وإن لم يكن بمقدورهم أن يستبعدوا هذا الاحتمال بشكل قاطع. وحتى لو كان مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية" موجودين هناك، فإن هذا لا يفسّر ولا يبرر استهداف مساكن المدنيين هذه بذخائر يُتوقع أن تتسبب في تدميرها بشكل كامل.

وقد أصبح تقاعس التحالف عن إيلاء الاعتبار الكافي لوجود المدنيين في المدينة عند اختيار الأهداف أمراً جلياً في مرحلة مبكرة من العملية. ففي 2 يوليو/تموز 2017، صرّح الجنرال ستيفن تاونسند، القائد الأمريكي لقوات التحالف التي تنصّر العملية، قائلاً: "... نحن نطلق النار على كل قارب نجده أمامنا. أما من يريد أن يخرج من الرقة في الوقت الحالي، فعليه أن يصنع طوافة هوائية"¹³ وهو افتراض خاطئ مؤداه أن كل قارب يحمل مقاتلين وأسلحة لتنظيم

أما "قوات سوريا الديمقراطية" فلم تذكر على الإطلاق أية بيانات عن الضربات التي نفّذتها.

¹³ مُتاح على الرابط: https://www.nytimes.com/2017/07/02/world/middleeast/us-backed-forces-close-to-trapping-isis-holdouts-in-Raqqa.html?_r=0

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

"الدولة الإسلامية"، بينما كان المدنيون الساعون إلى الهرب من المدينة في ذلك الوقت لا يجدون أمامهم خياراً سوى عبور النهر على متن قوارب (حيث كانت الجسور قد دُمِّرت من جراء الضربات التي شنتها قوات التحالف).¹⁴

كما استخدمت قوات التحالف كميات كبيرة من الذخائر التي لها تأثير واسع النطاق، أو التي لا يمكن تصويبها بدقة على أهداف بعينها تقع في مناطق مأهولة بالسكان المدنيين. وينطبق هذا، بالأخص، على قذائف المدفعية، التي يصل هامش الخطأ فيها إلى 50 متراً، حتى وإن كانت مزوّدة بنظم توجيه دقيق.¹⁵ والواقع أن معظم قذائف المدفعية التي استخدمتها قوات التحالف في الرقّة كانت غير مُوجَّهة، وذات هامش خطأ أكبر يصل إلى أكثر من 100 متر. ويكاد يكون من المؤكد أن يؤدي عدم الدقة في استخدام مثل هذه القذائف في المناطق السكنية، التي لا تبعد فيها المباني عن بعضها البعض سوى بضعة أمتار قليلة، إلى إزهاق أرواح مدنيين. وقد اعترفت القوات الأمريكية نفسها أنها أطلقت عشرات الآلاف من قذائف المدفعية إلى داخل المدينة.¹⁶ وتتفاخر قوات مشاة البحرية الأمريكية ("المارينز") بعطب مدافعها من طراز "هاويتزر"، بعد أن أطلقت عدداً هائلاً من القذائف خلال فترة قصيرة.¹⁷ وإذا كان التقرير الحالي يركّز على ضحايا الضربات الجوية من المدنيين، فقد سبق لمنظمة العفو الدولية أن وثّقت في تقرير سابق الخسائر في

¹⁴ انظر: منظمة العفو الدولية، "لن أنسى هذه المذبحة": مدنيون مُحاصرون في معركة الرقّة-سوريا" (رقم الوثيقة: MDE

24/6945/2017)، 24 أغسطس/آب 2017. مُتاح على الرابط:

<https://www.amnesty.org/ar/documents/mde24/6945/2017/en/>

¹⁵ على سبيل المثال، فإن أجهزة التوجيه طراز "M1156"، التي تُزوّد بها قذائف المدفعية عيار 155 مليمتراً، تؤدي إلى تقليل الخطأ الدائري المحتمل إلى ما بين 30 و50 متراً، بغض النظر عن مدى القذيفة. إلا إن معظم قذائف المدفعية عيار 155 مليمتراً، التي استُخدمت في الرقّة، كانت غير مُوجَّهة، ويتراوح الخطأ الدائري المُحتمل فيها إلى ما بين 200 و300 متر، إذا ما أُطلقت بأقصى مدى لها. انظر: "كيف تقرأ طلب الجيش تخصيص ميزانية للحصول على مزيد من المعدات الحربية الدقيقة"، في مجلة "نيويورك تايمز"، 1 مايو/أيار 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.nytimes.com/2018/05/01/magazine/army-artillery-budget-howitzer.html>

وكذلك: "أجهزة توجيه دقيق من طراز "XM1156" تتجه إلى أفغانستان"، على "شبكة إعلام الدفاع"، 26 إبريل/نيسان 2013. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.defensemedianetwork.com/stories/xm1156-155mm-precision-guidance-kit-heads-to-afghanistan/>

وانظر أيضاً: الجزء الخاص بالأسلحة في التقرير الحالي.

¹⁶ "قوات مشاة البحرية تطلق قذائف مدفعية في الرقّة بكثافة مما أدى إلى عطب مدفعين من طراز هاويتزر"، مجلة "مارين تايمز"، 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:

<https://www.marinecorpstimes.com/flashpoints/2017/11/02/marine-artillery-barrage-of-raqqqa-was-so-intense-two-howitzers-burned-out/>

وانظر كذلك: الموجز الصحفي الذي قدّمه الرائد جون واين تروكسيل (كبير المستشارين لدى رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية) يوم 23 يناير/كانون الثاني 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على صفحته الرسمية بموقع "فيسبوك" على الرابط:

<https://www.facebook.com/SEAC.JCS/videos/1822475634443381/>

¹⁷ المصدر السابق.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

صفوف المدنيين من جراء عمليات القصف المدفعي لقوات التحالف في الرقة،¹⁸ كما وثقت لجوء قوات التحالف إلى شتّى ضربات عشوائية، وخاصة باستخدام الفوسفور الأبيض، في يونيو/حزيران 2017.¹⁹

عائلة الأسود

مصرع تسعة مدنيين، قُتل ثمانية منهم في غارة جوية وقُتل التاسع من جراء لغم أو عبوة ناسفة مُرتجلة وهو يحاول العثور على ناجين

"كنّا نعتقد أنه " خلال يومين سوف ينتهي كل شيء، فسوف تأتي إلينا قوات سوريا الديمقراطية اليوم أو في الغد".²⁰

محمد عثمان الأسود، أحد الناجين من هجوم لقوات التحالف يوم 8 يونيو/حزيران 2017

كان جمال عثمان الأسود واحداً من أربعة أشقاء من منطقة يسكنها ذوو الدخل المنخفض غربي مفرق الجزيرة الواقع في الضواحي الغربية لمدينة الرقة. وعندما بدأ التحالف حملته لاستعادة الرقة من قبضة تنظيم "الدولة الإسلامية"، كان عمره 41 عاماً وكان قد أصبح تاجراً ناجحاً. ففي عام 1990، بدأ هو وأشقائه عمار ومحمد وخالد (ولم يبق على قيد الحياة سوى خالد ومحمد) مشروعاً تجارياً لبيع الأغذية والأدوات المنزلية. وأصبح الأربعة يديرون متجرّاً على الطريق الرئيسي المزدحم غربي مفرق الجزيرة، وهو متجر يبيع كل شيء، من حليب الأطفال وحتى شاشات التلفزيون المُسطّحة.

وكان الأشقاء الأربعة يلحسون ببناء بيت خاص لهم. وبحلول عام 2010، أصبح بإمكانهم، بعد أن عملوا معاً قرابة 20 عاماً، أن يبدؤوا أعمال البناء على قطعة أرض تقع قبالة بيت العائلة القديم. واستغرق البناء نحو عام، وكلف الأشقاء ما ادخروه طوال حياتهم، وهو حوالي 60 ألف دولار أمريكي. وكانوا، في بادئ الأمر، يعتزمون بيع بعض شقق العمارة، البالغة 12 شقة، واستثمار الأرباح في التجارة، ولكن عندما بدأت الأزمة في سوريا وما أعقبها من نزاع، تراجعت الأنشطة التجارية، ومن ثم سعى الأشقاء جاهدين للانتهاج من التجهيزات الداخلية في العمارة، ولم يبيعوا سوى شقة واحدة، في الدور الرابع، لعائلة جهّزت الشقة ثم رحلت عن المدينة.

ونظراً لعدم قدرة الأشقاء على استكمال التجهيزات الداخلية في العمارة، فقد استمر كل من جمال ومحمد وخالد في العيش مع زوجاتهم وأطفالهم في مساكن مستأجرة في أماكن أخرى من المدينة، بينما ظل الشقيق الأصغر عمار يعيش مع والدته في بيت العائلة القديم في الشارع المقابل للعمارة الجديدة التي لم يتم الانتهاء من تجهيزها. واستخدم الأشقاء الطابق الأرضي والقبو في العمارة الجديدة كمستودع لبضائعهم. وأصبح البيت الجديد، بطوايقه

¹⁸ منظمة العفو الدولية، "لن أنسى هذه المذبحة": مدنيون مُحاصرون في معركة الرقة-سوريا" (رقم الوثيقة: MDE

24/6945/2017)، 24 أغسطس/آب 2017. مُتاح على الرابط:

<https://www.amnesty.org/ar/documents/mde24/6945/2017/en/>

¹⁹ منظمة العفو الدولية، "تحليل الخبراء يُظهر أن استعمال التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة الفوسفور الأبيض قد يرقى إلى

جريمة حرب"، 16 يونيو/حزيران 2017. مُتاح على الرابط: <https://www.amnesty.org/en/latest/news/2017/06/syria-expert-analysis-shows-usled-coalition-use-of-white-phosphorus-may-amount-to-war-crime/>

²⁰ مقابلة مع محمد الأسود، الرقة، 8 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

الأربعة، واحداً من المباني العالية القليلة جداً في ذلك الحي، الذي تتألف أغلب مبانيه من طابق أو طابقين. كما كان بالبيت الجديد قبو، وهو ما تفتقر إليه البيوت التقليدية الأقدم ذات الطابق الواحد (والتي عادةً ما يُشار إليها باسم "البيوت العربية"). وبعد وقت قصير من بدء العملية العسكرية، التي شنتها قوات التحالف و"قوات سوريا الديمقراطية" الحلية لإخراج تنظيم "الدولة الإسلامية" من الرقة يوم 6 يونيو/حزيران 2017، أصبحت المنطقة ساحة قتال. وأصبح القبو الموجود في عمارة عائلة الأسود ملجأً للعائلة ولبعض الجيران.

القصف بالفوسفور الأبيض

في بداية العملية العسكرية، وقبل بدء القصف، أسقطت طائرات التحالف منشورات على منطقة مفرق الجزيرة تحذّر السكان بأن يتعدوا عن مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" وأن يغادروا المدينة،²¹ وهو مطلب صعب وبنطوي على مخاطر بالنظر إلى السجل المثبت لتنظيم "الدولة الإسلامية" في استهداف المدنيين الذين حاولوا الهروب من المدن الواقعة تحت سيطرة التنظيم.²² وفي 8 يونيو/حزيران 2017، أطلقت قوات التحالف قذائف مدفعية مُمحملة بالفوسفور الأبيض على منطقة مفرق الجزيرة، وذلك فيما يبدو بهدف خلق ستار دخاني يمكن أن تتقدم من خلاله عناصر القوات البرية في "قوات سوريا الديمقراطية" إلى داخل المنطقة.²³ وقد تحققت منظمة العفو الدولية من مقاطع فيديو التُقطت للواقعة ونُشرت على الإنترنت، وهي تُظهر مواد حارقة ملتصقة بمنازل المدنيين.²⁴ وقد أُلقيت بغزارة شظايا مُشبعّة بمادة الفوسفور الأبيض على المنطقة المحيطة بعمارة عائلة الأسود والمتجر الخاص بها.

وفي مقابلة مع منظمة العفو الدولية، قال محمد الأسود، وهو أحد الشقيقتين اللذين نجيا من الهجوم من عائلة الأسود:

كُنّا نقيم في القبو منذ 8 يونيو/حزيران، بعد الهجوم الأول على المنطقة، وهو القصف بالفوسفور الأبيض الذي أدى إلى إحراق مستودع الأغذية الخاص بأحد الجيران، وكذلك متجر الأحذية الخاص بجار آخر في زاوية الطريق الرئيسي. وخلال هذه الأيام، كُنّا نقضي معظم الوقت في القبو، ولكننا كُنّا ننقل ما بين القبو وبيت

²¹ انظر، على سبيل المثال، الرابط التالي:

<https://www.facebook.com/Raqqa.SI/photos/a.780113668666553.1073741828.780110825333504/1565169326827646/?type=3&theater>

وكذلك الرابط التالي:

<https://isis.liveuamap.com/en/2017/8-june-leaflets-dropped-by-international-coalition-onto-raqqa>

²² انظر، على سبيل المثال: منظمة العفو الدولية، "مهما كان الثمن: الكارثة المدنية في غرب الموصل" (رقم الوثيقة: MDE 2017/6610/14)، 11 يوليو/تموز 2017، ومُتاح على الرابط:

<https://www.amnesty.org/ar/latest/campaigns/2017/07/at-any-cost-civilian-catastrophe-in-west-mosul-iraq/>

²³ الأرجح أن قذائف المدفعية كانت قذائف أمريكية الصنع من طراز "" عيار 155 مليمتراً. انظر: منظمة العفو الدولية، "تحليل الخبراء يُظهر أن استعمال التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة الفوسفور الأبيض قد يرقى إلى جريمة حرب"، 16 يونيو/حزيران 2017. مُتاح على الرابط:

<https://www.amnesty.org/en/latest/news/2017/06/syria-expert-analysis-shows-usled-coalition-use-of-white-phosphorus-may-amount-to-war-crime/>

²⁴ المصدر السابق.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

العائلة القديم في الجهة المقابلة من الطريق لكي نستخدم الحمام والمطبخ. ولم يكن هناك بديل عن ذلك، لأنه لا توجد هذه المرافق في القبو.²⁵

ومع بوادق اقتراب المعركة، غادر الشقيقان الصغيران، خالد وعمار، المنطقة. ودفع الاثنان أموالاً لمهربين تابعين لتنظيم "الدولة الإسلامية" حتى يتسنى لهما الرحيل، حيث كان هذا هو السبيل الوحيد. كما اتخذ الشقيقان الآخران، جمال ومحمد، بعض الاحتياطات، فأرسلوا أمهما وزوجتيهما وأطفالهما إلى منطقة آمنة في مدينة منبج.²⁶ وقرر الاثنان البقاء في الرقة لحماية تجارتها والبيت الذي كدح الأشقاء طويلاً من أجل بنائه، فقد كانا يعرفان أنهما إذا غادرا الرقة، فسوف يستولي مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية" على أملاكهما، ويُحتمل أن يستخدموا البيت لأغراضهم مما يعرضه لخطر ضربات قوات التحالف.

وعندما كان جمال ومحمد يحتميان من القصف في القبو، كان ينضم إليهم بعض الجيران، ممن عجزوا عن مغادرة المدينة وأصبحوا يشعرون بأنهم عُرضة للخطر في بيوتهم الأقل متانة.

ومن هؤلاء أم إبراهيم، وهي أرملة وأم لطفلين وتبلغ من العمر 38 عاماً، وكانت تعيش في شارع يبعد بضعة شوارع قليلة جنوب غربي بيت عائلة الأسود. وقد قالت لمنظمة العفو الدولية:

أمضيت عدة ليال مع أطفال في قبو بيت الأسود. كان أفراد داعش والأكراد [قوات سوريا الديمقراطية] يتقاتلون فوق رؤوسنا، وكان أطفالنا يشعرون بخوف شديد، ولكن بيتنا بيت عربي لا يوفر لنا حماية من الطلقات، ناهيك عن قذائف الهاون والصواريخ. كنا نشعر بأننا أكثر أمناً في القبو، وأكثر أمناً أيضاً لأننا مع أشخاص آخرين. بعد عدة أيام عدنا إلى بيتنا لكي نغير ثيابنا. قال بعض جيراننا إن الأكراد قد أصبحوا قريبين جداً منا وبوسعنا أن نحاول الوصول إليهم. ذهبنا وأطفالنا مع جيراننا ونجحنا في الوصول إليهم بأمان.²⁷

وكان مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية" لا يزالون في المنطقة في ذلك الوقت، ولكنهم لم يكونوا في أماكن ملاصقة لعمارة عائلة الأسود. وذكر بعض الجيران أن مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" كانوا يقيمون معظم الوقت في مسجد التقوى وحوله، ويفع المسجد في شمال شرقي عمارة عائلة الأسود وتفصله عنه بضع بنايات. وكان جمال ومحمد الأسود يدركان جيداً أن بوسع مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" أن يقتحموا البيوت متى أرادوا وأن يستولوا عليها لاستخدامها كمواقع للقنص، ولهذا اتخذوا بعض الإجراءات الوقائية. وروى محمد لمنظمة العفو الدولية ما فعله آنذاك قائلاً:

لم يأت أفراد داعش إلى شارعنا، ولكن لو كانوا قد أتوا لكان من المستحيل عليهم أن يصعدوا إلى سطح العمارة أو حتى أن يدخلوا العمارة دون علمنا. كنّا قد أغلقنا جميع الأبواب وسددنا ممر الوصول إلى السلمين من الطابق الأرضي بأسطح الطااولات والصدائيق الخشبية. كنا نخرج من القبو ونعود إليه طوال النهار، وبعد غروب الشمس نبقى في القبو.

ونظراً لأن العمارة كانت جديدة ولم تُستكمل تجهيزات المرافق فيها، فقد كان يتعين على من يحتمون في القبو أن يعبروا الطريق متوجهين إلى بيت عائلة الأسود القديم لطهي الطعام واستخدام المراض. وقد حكى محمد الأسود لمنظمة العفو الدولية تفاصيل الحياة آنذاك، قائلاً:

ظلنا ننام في القبو على مدى 20 يوماً تقريباً، من يوم 15 رمضان [10 يونيو/حزيران 2017] وحتى وقوع الغارة الجوية. كنّا ننام هناك كل ليلة، حتى في أيام العيد. وكان هناك شخص يحضر لنا خبزاً. كنّا نعتقد أنه

²⁵ مقابلة مع محمد الأسود، الرقة، 7 و8 فبراير/شباط 2018.

²⁶ منبج مدينة تقع على بعد حوالي 140 كيلومتر شمال غربي الرقة، وقد سبق استعادتها من قبضة تنظيم "الدولة الإسلامية"، وكانت تحت سيطرة "قوات سوريا الديمقراطية".

²⁷ مقابلة مع أم إبراهيم، الرقة، 13 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

"خلال يومين سوف ينتهي كل شيء، فسوف تأتي إلينا قوات سوريا الديمقراطية اليوم أو في الغد. وطوال هذه الفترة لم تتعرض العمارة للقصف.

وقبل العيد بيوم، كانت هناك خمس أو ست عائلات معنا في القبو، ثم انصرف معظمهم، ولم يبق معنا إلا أبو محمود وزوجته وأطفالهما. أخبرت أبو محمود أن عليه أن يحاول الذهاب أيضاً هو وأسرته، ولكنه قال: "لن نترككم، ومصيرنا هو مصيركم". بقيتُ لكي أحمي بيتنا وسبل عيشنا، كان متجرنا مغلقاً، وكنا قد قمنا بتخزين كل البضائع في العمارة [الجديدة] وفي بيت العائلة. وكان أبو محمود يظنُّ أننا جميعاً سنكون في أمان في القبو.



امل عثمان، 13 عاماً، وأخويها عمار، 8 أعوام، ومحمود، 17 عاماً؛ جمال الأسود، 41 عاماً - 4 من 8 ضحايا قتلوا في قصف جوي لقوات التحالف في 28 حزيران 2017 في الرقة. صورة خاصة

كنا نقضي معظم الوقت في القبو خلال النهار، ولكننا كنا نتنقل ما بين القبو وبيتنا القديم على الطريق الصغير المقابل لكي نستخدم الحمام والمطبخ. كنا على يقين من أن الطائرات [النايعة للتحالف] التقطت صوراً لشارعنا، وأنهم يعرفون تحركاتنا، من خروجنا ودخولنا ما بين العمارة الجديدة والبيت القديم، وأنهم لابد قد عرفوا أننا مدنيون ومعنا عائلات وأطفال. وخلال العيد توقّف القصف، فاعتقدنا أن الأمر قد انتهى.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

الضربة الجوية

كان محمد يجلس في مدخل القبو عندما وقعت الغارة الجوية. كانت الساعة حوالي السابعة والنصف مساءً في رابع أيام العيد (28 يونيو/حزيران 2017). وقد روى لمنظمة العفو الدولية ما حدث آنذاك قائلاً:

كُنَّا على وشك تناول الطعام، أعرفُ الوقت لأن أخي جمال، الذي كان في القبو في الأسفل، كان قد سألني للتو عن موعد [أذان] المغرب حتى يمكنه أن يُفطر. كان شهر رمضان قد انتهى، ولكن كان جمال صائماً في ذلك اليوم لكي يُعوّض يوماً آخر أفطره في رمضان، حيث لم يقدر على الصيام ذلك اليوم بسبب القصف في الحي. كنتُ أجلس على صفيحة نبط فارغة أمام باب القبو أتحدثُ مع أبو محمود، الذي كان رابضاً بجواري. كانت زوجته وأطفاله في القبو مع أخي جمال. كُنَّا معتادين أن نغلق الباب عندما تغرب الشمس ولا نترك القبو حتى صباح اليوم التالي. ولكن فجأة جاءت الضربة.

فقدتُ الوعي لبعض الوقت. وعندما أفتُت، كان الظلام يخيم على المكان، واكتشفتُ أنني أُصبتُ في ظهري وساقِي. ربما كانت الساعة التاسعة ليلاً، لا أعرف.

وقد دُمّرت العمارة المكوّنة من أربعة طوابق، حيث انهار الهيكل الداخلي، وتكوّمت الطوابق فوق بعضها البعض. ويحكى محمد ما حدث بعد ذلك قائلاً:

ذهبتُ لأحتمي في بيت العائلة القديم على الطريق المقابل حتى بزوغ ضوء النهار، وفي الصباح الباكر ذهبتُ إلى العمارة المنهارة. استطعتُ أن أرى جسد محمود، ابن صديقي، مُمدداً تحت الأنقاض. كان حياً، ولكنه كان محشوراً من وسطه تحت عمود ضخّم منهارة. سمعتُ صوت أخي جمال وصوت أمال، ابنة صديقي أبو محمود، وهما يصرخان طلباً للنجدة، ولكن لم أستطع أن أبصرهما. حاولتُ أن أساعد محمود، ولكن العمود كان ثقیلاً جداً. ذهبتُ لأحضر أشقاء أبو محمود من منطقة أخرى وعُدنا. طلب محمود أن يشرب، فأعطيناه بعض الماء. لم نستطع أن نزيح الأنقاض، فذهبت لأطلب المساعدة من أفراد داعش قرب المسجد، ولكنهم رفضوا، وقالوا عَنَّا إننا من "المرتدّين". وأخيراً، ذهبتُ إلى "قوات سوريا الديمقراطية" (في موقعهم على جبهة القتال). ذهبتُ إليهم رافعاً يدي، ولكنهم أخذوا يصيحون ويطلقون النار حولي (وليس عليّ مباشرةً)، وقالوا "أنت من داعش".

وبعد ذلك، احتجزوني لمدة يومين. وفي ذلك الوقت، لم أكن أعرفُ ما حدث لأخي جمال وكذلك لمحمود وأمال. أدركتُ أن الآخرين قد ماتوا لأنه لم تكن هناك أي أصوات تصدر منهم. وفي نهاية المطاف، نقلني عناصر "قوات سوريا الديمقراطية" إلى مستشفى ميداني في [قرية] السلحبية، وهناك استخرجوا الشظايا من ظهري وساقِي. وبعد ذلك نقلوني إلى قاعدة استخبارات عسكرية تخص "قوات سوريا الديمقراطية" في [قرية] حاوي الهوى. وعندما أطلقوا سراحِي [يوم السبت 1 يوليو/تموز 2017، في العاشرة مساءً]، عدتُ إلى البيت، ووجدتُ أن هناك مزيداً من الانهيارات، حتى أن الأنقاض أُغلقت تماماً أي منفذ إلى القبو. لم تكن هناك أية علامات تدلُّ على أن هناك أحياء، سواء محمود أو أخي جمال أو أي شخص آخر. غادرتُ المنطقة، وبعد ذلك تمكّنتُ من مغادرة الرقّة.



خطّ مبنى عائلة الأسود، بالقرب من مفرق الجزيرة في الرقّة الغربية، التي قصفها التحالف في 28 حزيران 2017 ما أدى إلى قتل 8 مدنيين، خمسة منهم أطفال. © منظمة العفو الدولية

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا



محمد الأسود متاملاً قبو مبنى عائلته، حيث قتل أخوه وسبعة مدنيين آخرين في غارة لقوات التحالف في 28 حزيران 2017، دمر المبنى بالكامل. © منظمة العفو الدولية



"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية



صور من القمر الاصطناعي تظهر مبنى عائلة الأسود قبل وبعد تدميره بغارة لقوات التحالف التي قتلت 8 مدنيين، و5 منهم اطفال في 28 حزيران 2017.

الموت البطيء تحت الأنقاض

في الوقت نفسه، ظل أعمام الأطفال يترددون على موقع الضربة. وقد روى أحدهم، ويُدعى طه محمد عثمان، لمنظمة العفو الدولية ما رآه آنذاك، قال:

أول من رأيته، عندما ذهبتُ إلى العمارة المنهارة، هو أخي محمد محمود عثمان [50 عاماً]. كان ميتاً. وبعد ذلك، رأيت ابنه محمود، البالغ من العمر 17 عاماً، محشوراً تحت عمود. حاولنا أن نزيح العمود من فوقه، ولكننا لم نستطع. وبعد ذلك، رأيتُ شقيقه أنس، البالغ من العمر 12 عاماً، وكان ميتاً. لم أستطع أن أرى شقيقته أمال، البالغة من العمر 13 عاماً، ولكنني كنتُ أسمع صوتها. كانت فاطمة، زوجة أخي، موجودة هناك أيضاً. لم أستطع أن أراها، ولكن فيما بعد استخرجنا جثتها ودفناها.²⁸

وظل الأعمام في الموقع حتى المساء، يحاولون إنقاذ الأحياء الذين حُشروا في القبو تحت الأنقاض. ولكن بالرغم من كل محاولاتهم، كان من المستحيل رفع الأنقاض بدون معدّات حفر، فعادوا إلى بيوتهم ورجعوا في اليوم التالي ليواصلوا محاولتهم المحفوفة بالمخاطر، نظراً لاستمرار القصف ونيران قذائف الهاون، ولكنهم ظلوا عاجزين عن إخراج الأحياء. وطوال الوقت، كان قصف المواقع متبادلاً بين "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات تنظيم "الدولة الإسلامية".

ويُكمل طه محمد عثمان روايته للأحداث آنذاك قائلاً:

في يوم الخميس [29 يونيو/حزيران 2017]، كان ثلاثة منهم لا يزالون أحياءً تحت الأنقاض، وهم جمال وأمّال ومحمود. لم نكن نرى سوى محمود، ولكننا كنا نسمع أصوات الاثنين الآخرين. كان محمود يسأل دائماً: "أين

²⁸ مقابلة مع طه محمد عثمان، الرقة، 8 فبراير/شباط 2018.

أبي؟ أين أختي؟ النجدة، أريد ماءً". كانت أمال تصرخ أيضاً طلباً للنجدة، رغم أننا لم نكن نستطيع أن نراها. بقينا هناك حتى أصبح القصف قريباً جداً.

وفي يوم الجمعة، كان من الصعب الذهاب مباشرةً إلى الموقع. كانت هناك اشتباكات شديدة في المكان الذي نعيش فيه. ظل أفراد داعش يطلبون منا الانتقال إلى أماكن مختلفة (في المدينة القديمة). طلبنا منهم المساعدة لإنقاذ الأحياء في القبو، ولكنهم رفضوا ووصفونا بأننا من المرتدّين. وعندما عدنا أخيراً إلى القبو يوم الجمعة، كان جميع من هناك قد ماتوا.

وكان من قُتلوا من جراء الغارة الجوية هم:

- 1- جمال عثمان الأسود
- 2- محمد عثمان (أبو محمود)
- 3- فاطمة (محمد عثمان، زوجة أبو محمود)

أبناء محمد عثمان (من زوجته الأولى المتوفاة)

- 4- محمود، 17 عاماً
- 5- أمال، 13 عاماً
- 6- أحمد، 14 عاماً
- 7- أنس، 12 عاماً
- 8- عمار، ثمانية أعوام

وقال محمد الأسود لمنظمة العفو الدولية:

الأطفال الذين ماتوا كانوا أبناء طبيين، وكان والدهم كثيراً ما يتحدث عنهم. كان يقول إنهم جميعاً مُجديين في العمل. كان محمود يهوى الحاسوب، وكانت لديه معرفة جيدة بالإلكترونيات. كان يعمل في صيدلية ويحاول أن يَدخِر بعض المال لأنه كان يريد شراء دراجة بخارية. وكان أحمد عمره 14 عاماً ويهوى السيارات، وكان يعمل في محل حلويات. أما أمال فكان عمرها 13 عاماً فقط، ولكنها كانت تساعد كثيراً في الأعمال المنزلية بعد وفاة والدتها قبل عامين. وكان أنس يبلغ من العمر 12 عاماً، وكانت لديه دراجة قديمة وكان يريد واحدة جديدة. وكان عمار أصغر من مات، حيث كان عمره ثمانية أعوام.

الألغام والعبوات الناسفة المُرتجلة

لم تسمح "قوات سوريا الديمقراطية" للسكان بالعودة إلى الرقّة إلا بعد أسابيع من انتهاء العملية العسكرية بشكل كامل في 17 أكتوبر/تشرين الأول 2017. وفي أوائل نوفمبر/تشرين الثاني، تمكن محمد وخالد، شقيقا جمال عثمان الأسود، من العودة إلى حيّهم لانتشال جثث الذين لقوا مصرعهم في الضربة الجوية التي دمّرت بيت الأشقاء قبل أربعة شهور. واستأجر الشقيقان جرّافة لرفع أنقاض البيت المهدم، وعثروا على جثة جمال. كان هذا بمثابة صدمة للشقيقين، حيث كان لديهما انطباع بأنه تم إنقاذ جمال، وكانوا يبحثون عنه، دون جدوى، في المستشفيات في المناطق الخاضعة لسيطرة "قوات سوريا الديمقراطية".

كما كان الشقيقان يبحثان عن شقيقهما الأصغر عمار، الذي سبق أن التجأ إلى مدينة منبج ولكنه تمكن من العودة إلى الرقّة بعد وقوع الضربة الجوية مباشرة. وقد قطع عمار هذه الرحلة الخطرة بمساعدة مُجنّد من "قوات سوريا الديمقراطية"، كان يعرفه من الرقّة وأخبره أن بيت عائلته قد دُمّر وأن أقاربه تحت الأنقاض. وبعد أن شرع عمار في رحلة العودة إلى الرقّة اختفى، وطن شقيقاه أنه مُحتجز لدى "قوات سوريا الديمقراطية". وقد روى محمد لمنظمة العفو الدولية ما حدث آنذاك قائلاً:

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

كثاً قد سمعنا شائعات بأن جمال في المستشفى وأن عمار في السجن. وقبل عودتنا إلى الرقة، بحثنا عن جمال في جميع المستشفيات، في مدن تل أبيب والقامشلي وكوباني ومنبج، كما سألنا "قوات سوريا الديمقراطية" عن عمار، ولكننا لم نلق أية معلومات عن أي منهما. لم نكن نعرف أنهما ماتا.

لم نعلم بأن عمار قد مات إلا بعد خمسة شهور من وفاته، حين عثرنا على جثته ملقاة في أحد الشوارع بالقرب من بيتنا، على بعد حوالي 50 أو 60 متراً فقط. تعرّفنا عليه من ملابسه ومن خاتم زواجه، الذي كُسر من طرفه الداخلي. كان جسده سليماً، ولكن رأسه كانت مهشّمة. كان يرتدي الجلابية السوداء نفسها، التي تذكر زوجته أنه كان يرتديها عندما غادر منبج [متوجهاً إلى الرقة]. وكانت لحيته قصيرة، لأنه كان في منبج وليس في منطقة خاضعة لسيطرة داعش حيث يُجبر الرجال على إطالة لحاهم. وعرفنا فيما بعد، من "قوات سوريا الديمقراطية"، أن عمار لقي مصرعه عندما داس على لغم، وأن جندياً من "قوات سوريا الديمقراطية" كان معه وفقد ساقه من جراء الانفجار نفسه.

لقد عُدتنا لنبحث عن جمال وعمار. كُنّا نعتقد أنّنا سنجدهما على قيد الحياة لا بين الأموات. طوال الوقت كان عمار ملقى في الشارع المجاور. لم ندرك أن جمال قد مات إلا بعد أن رفّعنا جميع الأنقاض من القبو، حيث وجدنا جثته، مع جث أبو محمود وعائلته.

السلب والنهب

كان محمد وجمال الأسود قد اختارا البقاء في الرقة لحماية ممتلكات العائلة وسبل عيشها. كانا يعرفان أنهما إذا غادرا المدينة، فالأرجح أن مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" سوف يسرقون البضائع الخاصة بهما. وقد ثبت أن مخاوفهما لها أساس، وإن كانت الممتلكات قد نُهب، على ما يبدو، بعدما سيطرت "قوات سوريا الديمقراطية" على المنطقة. وقد روى محمد لمنظمة العفو الدولية تفاصيل ذلك قائلاً:

عندما عُدتنا، كان البيت العربي [بيت العائلة القديم الكائن على الطريق المقابل للعمارة الجديدة] قد نُهب، وكانت جميع البضائع التي قمنا بتخزينها هناك قد ضاعت. كُنّا قد خزّنا البضائع في مكانين، نصفها في العمارة العالية ونصفها في البيت العربي، حتى إذا قُصف مكان منهما لا نكون قد فقدنا كل شيء. ولكن كل شيء ضاع؛ صفائح زيت الطعام، وبراميل الوقود، وحليب الأطفال، كل شيء.

ويبدو أن سلب ونهب كل ما لم يُدمّر من جراء القصف أو القتال قد أصبح أمراً معتاداً في مختلف أنحاء الرقة وخارجها في الأماكن التي استعاد تنظيم "الدولة الإسلامية السيطرة عليها. وقد ذكر معظم سكان الرقة، الذين أجرت منظمة العفو الدولية مقابلات معهم، أن أملاكهم، سواء أكانت بيوتاً أو متاجر، قد نُهب. وقال السكان إن أفراد "قوات سوريا الديمقراطية" كانوا مسؤولين عن النهب وعن السماح لآخرين بالنهب.²⁹

شظايا الذخائر وتقارير التحالف عن الضربات

زار مندوبو منظمة العفو الدولية موقع الضربة مع أفراد عائلة الأسود، الذين أحضروا شظيتين لاثنتين من الذخائر وقالوا إنهم استخرجوهما من أنقاض العمارة المهذّمة. وكانت الأولى جزءاً من قذيفة هاون من قذيفة طراز "AGM-114 Hellfire"، تصنيع شركة "أليانت تيكسيستمز" في فيرجينيا بالولايات المتحدة. وكانت الثانية قطعة من "وحدة ذخائر الهجوم المباشر المشترك" أمريكية التصميم، وهي عبارة عن قنبلة موجهة بنظام تحديد المواقع العالمي (جي بي إس) تُلقى من الجو.³⁰

²⁹ انظر مزيداً من المعلومات في صفحة 77 من التقرير الحالي.

³⁰ التقط مندوبو منظمة العفو الدولية صوراً للشظيتين، وتعرّف عليهما خبراء عسكريون استناداً إلى الأرقام المسلسلة وبيانات أخرى واضحة على الشظيتين. انظر الصور في صفحة 28

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

ولا تتضمن تقارير التحالف عن الضربات التي شنتها البيانات اللازمة عن تاريخ تنفيذ الضربة وتوقيتها وموقعها على وجه الدقة. وفي غياب هذه الشفافية يصبح من المستحيل تحديد ما إذا كانت تفاصيل أي من الضربات الواردة في هذا التقرير تتماشى مع تفاصيل الضربة التي أصابت عمارة عائلة الأسود.



بقايا محرك صاروخ أميركي الصنع من نوع AGM-144 HELLFIRE وجد بين حطام مبنى عائلة الأسود، الذي دمرته غارة لقوات التحالف وقتلت 8 مدنيين في 28 حزيران 2017. © منظمة العفو الدولية



عثر على جزء من زعنفة من ذخيرة الهجوم المباشر المشترك مصممة أميركياً، وهي قنبلة تم قذفها بواسطة جي بي إس ، بين أنقاض مبنى عائلة أسود ، والذي دمر جراء غارة جوية لقوات التحالف والذي أودى بحياة ثمانية مدنيين في 28 حزيران 2017. © منظمة العفو الدولية

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

وقد ذكرت "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" أنها نُفذت إجمالاً 17 ضربة على الرقّة يوم 28 يونيو/حزيران 2017. وذكرت المعلومات التالية عن الضربات على الرقّة في ذلك اليوم:

بالقرب من الرقّة، نُفذت 13 غارة شملت تسع وحدات تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير 10 مواقع قتالية، ومركبتين، وطائرة بدون طيار، والقضاء على وحدة تكتيكية تابعة لتنظيم "الدولة الإسلامية".³¹ وفي يوم 28 يونيو/حزيران، نُفذت بالقرب من الرقّة بسوريا أربع غارات شملت أربع وحدات تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية".³²

وقد نُفذت طائرات بريطانية اثنتين من هذه الضربات، وفقاً لما ذكرته وزارة الدفاع البريطانية، التي أعلنت المعلومات التالية عن أنشطتها في الرقّة يوم 28 يونيو/حزيران 2017:

كانت هناك طائرتان مقاتلتان من طراز "تورنيو" تابشران عملهما فوق الرقّة. وفي الطرف الشمالي الغربي من المدينة، عُرف أن انتحارياً واحداً على الأقل يختبئ داخل مبنى تسيطر عليه "داعش"، متحياً الفرصة لمهاجمة "قوات سوريا الديمقراطية" بمجرد اقترابها. وقد صُرب المبنى والإرهابيون المتواجدون بداخله باستخدام قنبلة موجهة من طراز "بيغواي الرابعة". كما أدت قنبلة من الطراز نفسه إلى تدمير مبنى في الشرق، كانت تنطلق منه نيران كثيفة موصّبة على "قوات سوريا الديمقراطية". وأتاحت هذه الضربة الناجحة أن تواصل "قوات سوريا الديمقراطية" تقدّمها.³³

وتتسم المعلومات التي أصدرتها وزارة الدفاع الفرنسية بمزيد من الإبهام فيما يتعلق بتوقيت الضربات، كما إنها لا تتضمن أية تفاصيل بخصوص أيام بعينها. إلا إن وزارة الدفاع الفرنسية تُقر بأن طائراتها قصفت الرقّة أيضاً خلال الأسبوع المعني. وقد قالت الوزارة أنه:

خلال الأسبوع الحالي، نُفذت "عملية الشمال" 31 طلعة جوية، من بينها 29 طلعة استكشافية مسلحة أو مصحوبة بدعم بري، بالإضافة إلى طلعتين لجمع معلومات استخبارية. وقد نُفذت طائرات فرنسية 19 غارة في العراق وسوريا، ونُفذت معظمها خلال معركتي الموصل والرقّة. واستهدفت هذه الغارات مجموعات من مقاتلي "داعش". ونُفذت الغارات الأخرى في سوريا واستهدفت مناطق يستخدمها المقاتلون الجهاديون للإمدادات وإعادة التجمّع.³⁴

³¹ عملية العزم الصلب، "بيان الغارات الجوية- يونيو/حزيران 2017، بيان الغارات بتاريخ 29 يونيو/حزيران 2017 [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/Strike-Releases/>

³² المصدر السابق، "بيان الغارات بتاريخ 1 يوليو/تموز 2017". [بالإنجليزية].

³³ وزارة الدفاع البريطانية، "الغارات الجوية لسلاح الجو الملكي في العراق وسوريا: يونيو/حزيران 2017". [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.gov.uk/government/publications/british-forces-air-strikes-in-iraq-monthly-list/june-2017>

³⁴ الجيش الفرنسي- العمليات العسكرية، الخميس 29 يونيو/حزيران 2017. [بالفرنسية]. مُتاح على الرابط: <https://www.facebook.com/notes/arm%C3%A9e-fran%C3%A7aise-op%C3%A9rations-militaires/point-de-situation-des-op%C3%A9rations/1434337239945330/>

ترجم عن النص الأصلي التالي: ("Cette semaine, les avions de l'opération Chammal ont réalisé 31 sorties aériennes dont 29 de reconnaissance armée ou d'appui au sol (CAS) et 2 de recueil de renseignements. 19 frappes ont été réalisées par les avions français en Irak et en Syrie. La majeure partie d'entre elles ont été réalisées dans le cadre des batailles de Mossoul et de Raqqa. Ces frappes visaient des groupes de combattants de Daech. Les autres

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

عائلة الحشيش

مقتل تسعة في ضربة جوية، وسبعة جراء انفجار الألغام، واثنين من أفراد العائلة وابن جيرانهم من جراء ضربات بقذائف الهاون

"ما إن رأتنا [طائرات التحالف]، حتى شنت ضربتها؛ حيث وقعت مباشرة بعدما دخلنا إلى منزلنا مجدداً".³⁵

منيرة الحشيش، إحدى الناجيات من القصف الجوي والألغام

منيرة الحشيش أم لتسعة أطفال في أوائل الأربعينات من عمرها، وقد فقدت 18 فرداً من عائلتها في ثلاثة حوادث منفصلة في يوليو/تموز وأغسطس/آب 2017، حيث قُتل تسعة منهم في ضربة جوية شنتها قوات التحالف، وقُتل سبعة أثناء محاولتهم الفرار عبر طريق كان تنظيم "الدولة الإسلامية" قد زرعه بالألغام؛ بينما لقي اثنان آخران مصرعهما جراء إصابتهما بقذائف هاون أطلقتها "قوات سوريا الديمقراطية"، وأودت بحياة ابن أحد الجيران، وكان عمره عامين. وقالت منيرة لمنظمة العفو الدولية: "كان من بقوا [في المدينة] يموتون، ومن حاولوا الفرار يموتون. ولم يكن بوسعنا أن ندفع أموالاً للمهربيين، كُنَّا محاصرين". وقد نجت هي وبعض أطفالها من القصف الجوي والألغام، حتى تمكنوا في نهاية الأمر من الهرب، وذلك "عن طريق المشي على دماء أولئك الذين انفجرت فيهم الألغام وهم يحاولون الهرب قبلنا"، على حد قولها.

وكانت منيرة تعيش مع عائلتها في حي الدرعية، وهو أحد الأحياء الفقيرة بغرب الرقة. ولم تكن العائلة ميسورة الحال؛ فكان زوج منيرة، حسين إبراهيم الحشيش، يُعيل الأسرة قدر المستطاع، حيث كان يعمل بائعاً متجولاً بعربة خضروات، بينما كان أفراد العائلة الآخرون يعملون في حرفة البناء كعمال مؤقتين.

ويقع حي الدرعية بالقرب من مفرق الجزيرة إلى الجنوب الشرقي (انظر حالة عائلة الأسود). وقد بدأ القصف المدفعي تقريباً في نفس الوقت في كلتا المنطقتين، في الأيام التي تلت بدء العملية العسكرية هناك (في 6 يونيو/حزيران 2017). وقد أُخبرت منيرة منظمة العفو الدولية أن كل من كان قادراً على المغادرة في ذلك الوقت لاذ بالفرار، ولكن هروبهم من تلك المنطقة كان صعباً ومحفوفاً بالمخاطر ومُكلفاً. وأضافت منيرة قائلة: "كان المهربيون يتقاضون 200 ألف ليرة سورية عن كل شخص [حوالي 390 دولار أمريكي]، ولم يكن في وسعنا تحمل تلك التكاليف. وكذلك كان حال العديد من جيراننا الذين سُدت أمامهم السبل أيضاً. وقد حاول البعض مغادرة المكان دون دفع الأموال للمهربيين، وكان مصيرهم القتل إما برصاص "داعش" أو جراء انفجار الألغام التي زرعتها التنظيم".

وعلى الرغم من تلك المخاطر، فقد حاولت منيرة وعائلتها مغادرة تلك المنطقة. وقد روت لمنظمة العفو الدولية ما حدث آنذاك قائلة:

frappes ont été réalisées en Syrie et ont visé des zones de regroupement et de ravitaillements utilisées par les combattants djihadistes. *)

³⁵ مقابلة مع منيرة الحشيش، الرقة، 10 فبراير/شباط 2017.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

كثًا قد حاولنا أن نهرب من المدينة، ولكننا لم نستطع تدبير الأمر. وبعد حوالي خمسة أيام من العيد، حاولنا الهرب عبر النهر ولكن أفراد "داعش" أمسكونا،³⁶ وضربوا الرجال ضرباً شديداً، واحتجزوني مع نساء أخريات في أحد البيوت لمدة يوم، ثم سمحوا لنا بالانصراف... والحمد لله أنهم [أفراد التنظيم] لم يعرفوا أن ابن شقيقتي كان من أفراد "قوات سوريا الديمقراطية"، وإلا لكانوا قد قتلونا جميعاً. وكان يمكننا أن نقوم بالمزيد من المحاولات، ولكن كان يتتابنا الخوف منهم، وكذلك من الألعام [العبوات الناسفة المُرْتجلة].³⁷

وابل من قذائف الهاون

تعرضت عائلة منيرة للهجوم عدة مرات من جانب أطراف شتى. ففي بادئ الأمر، قُصف الحي المجاور لمنزل شقيق منيرة بوابل من قذائف الهاون في يوليو/تموز، 2017³⁸ مما أسفر عن مقتل زوجها حسين إبراهيم الحشيش، وزوج شقيقته إبراهيم عيسى عنتر، وكانا في الأربعينات من العمر، فضلاً عن مقتل ابن جيرانهم علي حسن نافع، البالغ من العمر عامين. وقد أوضحت منيرة ما حدث آنذاك قائلةً: "كان زوجي فقيراً، وكان يعمل بائعاً متجولاً بعربة خضروات. وكان حسين وإبراهيم خارج منزل شقيقي [حسن] يتحدثان وهما يستندان على الجدار عندما لقي مصرعهما هناك". وقد زارت منظمة العفو الدولية موقع الحادث ثلاث مرات، حيث أكد عدد من الجيران تفاصيل وصف الحادث. وبالإضافة إلى قتل الرجلين، أصابت إحدى قذائف الهاون الأخرى منزلاً عبر الشارع الضيق، مما أسفر عن مصرع الطفل ذي العامين علي حسن نافع، وإصابة والده. وقد روت والدة علي حسن لمنظمة العفو الدولية ما حدث آنذاك، فقالت:

كان ذلك في الصباح الباكر، حوالي الساعة السابعة، وكنا نائمين في ساحة المنزل لأن الجو كان حاراً. كان علي طفلي الوحيد، فقد تزوجنا منذ عدة أعوام، ولكن استغرقنا وقتاً طويلاً كي ننجب طفلاً، وانتظرنا لأعوام عديدة قبل أن نُرزق بعلي. كان علي كل ما لدينا، وكان كل حياتي.³⁹

وخلال تقيي هذه الحالة، التقى أعضاء وفد منظمة العفو الدولية مع أحد أفراد "قوات سوريا الديمقراطية"، حيث قال: "لقد أمطرنا المنطقة بقذائف الهاون دون تمييز، بهدف تطهيرها". وقد كرر أفراد آخرون من "قوات سوريا الديمقراطية" القول نفسه.⁴⁰

وكان الذين قُتلوا بقذائف الهاون هم:

- 1- حسين إبراهيم الحشيش، (زوج منيرة)، وكان في أواخر الأربعينيات من عمره

³⁶ أخبر معظم السكان الذين فروا من الرقة منظمة العفو الدولية بأنهم عبروا نهر الفرات في زوارق صغيرة، مُعرضين أنفسهم لخطر الوقوع بين أيدي مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية"، أو التعرض لقصف طائرات التحالف التي كثيرا ما كانت تستهدف أولئك الذين يعبرون النهر. وكانت المناطق الريفية بجنوب النهر لم تزل تخضع لسيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية"، ولكن لم تكن السيطرة في تلك المناطق الريفية مُحكمة مثلما كانت في المدينة نفسها. ومن هناك، كان بعض السكان يسافرون غرباً عبر الحقول والممرات الريفية الصغيرة، وكان يمكن التسلل بشكل أسهل عبر خطوط المواجهة إلى المناطق التي استعادتها "قوات سوريا الديمقراطية" بالفعل.

³⁷ مقابلة مع منيرة الحشيش، الرقة، 10 فبراير/شباط 2017.

³⁸ لم يتمكن شهود العيان على الوقائع الواردة في هذا التقرير تفصيلاً أو الناجون منها، الذين أجرت معهم منظمة العفو الدولية مقابلات، من تذكّر تواريخ وقوعها على نحو الدقة، فكانوا يشيرون زمنياً إلى أحداث وقعت إما خلال شهر رمضان عام 2017 أو بعده (وقد حلّ رمضان في سوريا في عام 2017 فيما بين 27 مايو/أيار و25 يونيو/حزيران). ويُذكر أن عدم القدرة على تذكّر مواعيد محددة لوقائع بعضها هو أمر شائع بين المدنيين الذين مروا بفترات طويلة في مناطق النزاع ونجوا من أحداث أليمة.

³⁹ مقابلة مع زهراء نافع، الرقة، 10 فبراير/شباط 2017.

⁴⁰ تحدثت منظمة العفو الدولية إلى تسعة من أفراد "قوات سوريا الديمقراطية"، كل على حدة، في أحياء مختلفة من الرقة في تواريخ متباعدة بين 5 و16 فبراير/شباط 2017. وقد حُجبت الأسماء والتواريخ والمواقع، حفاظاً على سلامة هؤلاء الأشخاص.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

- 2- إبراهيم عيسى عنتر (زوج شقيقة منيرة)، وكان في الأربعينات من عمره
3- علي حسن نافع، وعمره عامان (ابن جيرانها)

الألغام/العبوات الناسفة المُرتجلة



احمد حشيش واين عمه حسين، أصيبا بجروح جراء ألغام ألغافها تنظيم الدولة الاسلامية أثناء محاولتهما الهروب من الرقة في آب 2017. والدا حسين وخمسة من اقرانه قتلوا في الانفجار وخسر حسين رجله اليسرى. صورة خاصة، صورة لمنظمة العفو الدولية

بعد مرور عدة أسابيع على هجمات قذائف الهاون التي أسفرت عن مقتل زوج منيرة وزوج شقيقتها، حاولت العائلة الهرب مرة أخرى. وقد لقي سبعة أفراد من العائلة مصرعهم، وأصيب عدة أفراد آخرين بجروح، جراء انفجار ألغام وعبوات الناسفة مُرتجلة كان تنظيم "الدولة الإسلامية" قد زرعاها. وقد وقعت تلك الانفجارات على بعد عدة بنايات من بيت العائلة، الواقع على طريق سكني قريب من التقاطع مع الطريق الرئيسي. وعادةً ما كان أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية" يُلجَمون كل طريق بأكثر من جهاز تفجير لإلحاق أكبر قدر من الإصابات. وفي مقابلة مع منظمة العفو الدولية، قال محمد الحشيش، وهو أحد الأطفال الذين أُصيبوا في الانفجار ويبلغ من العمر 12 عاماً:

كنا نمشي بهدوء، ونحاول ألا نصدر صوتاً حتى لا يسمعنا أفراد "داعش" إذا كانوا مختبئين بالقرب منا... وعندما وصلنا إلى نقطة قريبة جداً من الطريق الرئيسي، وجدنا أن هناك كومة صغيرة من التراب تعترض الشارع الذي كنا نسير فيه، وكان يتعين علينا أن نسير فوقها لكي نعب، وما إن خطونا فوقها حتى وقع الانفجار.⁴¹

وكان محمد من بين المصابين، حيث انكسر كعب قدمه اليمنى وظل يعرج بسبب هذه الإصابة لمدة ثمانية أشهر. كما فقد حسين، ابن حسن وهازار وهو رضيع عمره ثلاثة أشهر، قدمه اليسرى في الانفجار الذي أودى بحياة والديه.

وكان الذين لقوا مصرعهم من انفجار الألغام هم:

- 1- مهدي إبراهيم الحشيش (زوجة حسين علي الحشيش)، وكانت تبلغ من العمر 38 عاماً

⁴¹ مقابلة مع محمد الحشيش، الرقة، 15 فبراير/شباط 2017.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

أبناء مهديّة الخمسة:

- 2- حسن حسين الحشيش، ويتراوح عمره بين 18 و19 عاماً
- 3- أحمد حسين الحشيش، ويبلغ من العمر 16 عاماً
- 4- فاطمة حسين الحشيش، وكانت في العاشرة من عمرها
- 5- إسماعيل حسين الحشيش، وكان في التاسعة من عمره
- 6- مصطفى حسين الحشيش، وكان في السابعة من عمره

زوجة حسن، ابن مهديّة الأكبر:

- 7- هازار أحمد كوتشي، وكانت تبلغ من العمر 17 عاماً

الضربة الجوية

خلال الأسبوعين الأخيرين من أغسطس/آب 2017، وبعد أن أودت الألغام والعبوات الناسفة المُرتجلة بحياة سبعة من أفراد العائلة أثناء محاولتهم الهرب، تعرّض المنزل الذي كانت تقيم فيه منيرة وعائلتها لضربة جوية، مما أسفر عن مقتل تسعة أشخاص وإصابة عدة أشخاص آخرين.⁴² وقد زارت منظمة العفو الدولية موقع الضربة الجوية ثلاث مرات في فترات متفاوتة. وقالت منيرة لمنظمة العفو الدولية:

كان أفراد "داعش" متواجدين بالمنطقة. لم نرهم في شارعنا، ولكننا علمنا أنهم كانوا يتجولون ليلاً بالدراجات النارية، ويزرعون الألغام [العبوات الناسفة المُرتجلة] تحت جناح الظلام. وكان من المستحيل معرفة أي منزل سيتواجد به أفراد التنظيم من يوم إلى آخر، لأنهم اعتادوا التنقل من مكان إلى آخر. علمنا أنهم كانوا يفتحون فتحات في جدران المنازل، بحيث يمكنهم التحرك دون أن يراهم أحد في الشوارع، وكانوا يستولون على أي منزل حسبما يرغبون.⁴³

وكان المنزل مكوّناً من طابق واحد، ويحتوي على خمس غرف يتوسطها فناء. وتحكي منيرة أن الرجال كانوا يغادرون المنزل في الساعة الثامنة صباحاً لإحضار الخبز. وعندما توقفت المخابز عن العمل، لم يكن أمامهم خيار سوى البحث عن الخبز في المنازل المهجورة. وفي وقت لاحق من ذلك الصباح، ذهبت منيرة وزوجنا شقيقها، ومعهن عربة يدوية محمّلة بأوعية فارغة، إلى أحد الآبار لملئها بالماء. وفي طريق عودتهن إلى المنزل، سقط بالقرب منهن وابل من القذائف، ولكنهن استطعن العودة إلى المنزل سالمات. وروت منيرة ما حدث بعد ذلك قائلةً:

ما إن رأتنا (طائرات التحالف)، حتى شنت ضربتها، حيث وقعت مباشرة بعدما دخلنا إلى منزلنا مُجدداً. وحدث ذلك بعد أذان صلاة الظهر مباشرة. أتذكر أنني سمعت الأذان، وعندئذ وقعت الضربة. قُتل شقيقي الاثنان حسين ومحمد وأبناؤهما وجيراننا جميعاً. أما الذين نجوا من القتل فأصيبوا بجروح. كان الوحيد الذي لم يُصب بأذى هو حفيدي الرضيع ذو الأربعة أشهر، حيث كنتُ أحمله بين ذراعي.⁴⁴

انتشلنا الأطفال وهم بين الحياة والموت. فقد انكسرت ركية حفيدتي عهد البالغة من العمر أربعة أعوام، وحاولنا لمدة خمس ساعات إدخالها المستشفى، ولكن أفراد "داعش" أعادونا من حيث أتينا، وتركوا الطفلة تنزف على مدى خمس ساعات، بينما كان القتال دائراً والطائرات تُحلّق في السماء حولنا. وفي نهاية

⁴² انظر الحاشية رقم 38.

⁴³ مقابلة مع منيرة الحشيش، الرقة، 10 فبراير/شباط 2017.

⁴⁴ المصدر السابق.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

المطاف، استطعنا إدخالها المشفى الوطني. وفيما بعد أخذناها إلى خارج الرقة، حيث تولت منظمة "أطباء بلا حدود" علاجها في تل أبيب، وهي الآن تعيش في تركيا.

أما أنا، فأصبتُ بجروح وكذلك جميع أبنائي. وكانت إصابة ابني أحمد، البالغ من العمر سبعة أعوام، هي الأسوأ بين إصاباتنا، حيث أصيب بجروح خطيرة في بطنه، ولم تثتم على الوجه الصحيح، لأنه لم يتمكن من الحصول على الرعاية الطبية المناسبة، ولا يزال في حاجة إلى العلاج. أما حسين، ابن شقيقي، وكان عمره ثلاثة أشهر فقط، فقد قدمه. لقد فقد والديه، وقدمه أيضاً. وهو بحاجة إلى تركيب قدم اصطناعية قبل أن يتعلم المشي، لكي يستطيع التعلم على النحو الملائم.

وكان الذين قُتلوا من جراء الضربات الجوية هم:

شقيقا منيرة:

- 1- حسين العلي الحشيش، وكان عمره 45 عاماً
- 2- محمد العلي الحشيش، وكان عمره 40 عاماً

ابنتا محمد:

- 3- أمل، وكان عمرها ستة أعوام
- 4- نور العيون، وكان عمرها أربعة أعوام

بالإضافة إلى:

- 5- نضال قاسم (زوج ابنة منيرة)، وكان عمره 25 عاماً
- 6- منار (ابنة نضال)، وكانت في الثالثة من عمرها

وكذلك ثلاثة من الأقارب بعيدي الصلة كانوا يحتمون بالمنزل مع عائلة الحشيش، وهم:

- 7- أم نجم
- 8- نجم، وكان عمره 12 عاماً
- 9- عبد الله، وكان عمره 17 عاماً

ولا تعرف منيرة حتى الآن لماذا قُصف المنزل. وقد قالت لمنظمة العفو الدولية:

كان أفراد "داعش" متواجدين بالمنطقة ولكن ليس في شارعنا على وجه التحديد. فلم يأتوا إلى بيتنا، وهو بيت عربي [مكوّن من طابق واحد]، لم يكن مرتفعاً ولهذا لم يكن مفيداً لهم. بقينا في البيت، وكنتنا نلتزم الهدوء التام، ولم نكن نشعل أية أنوار ليلاً خوفاً من أن يرانا أفراد "داعش"، فلو كانوا قد رأونا لأرسلونا على الأرجح إلى وسط المدينة [كدروع بشرية]. لم نكن نريد أن يكون ذلك مصيرنا. لقد أردنا البقاء في منزلنا، لأن "قوات سوريا الديمقراطية" أصبحت قريبة منا، وكنا نريد أن نتحرر.

وفي النهاية، استطعنا الهروب إلى الدرعية عن طريق المشي على دماء الآخرين. كنتنا نخطو في الطرق التي اتخذها من انفجرت فيهم الألغام، على أمل ألا يكون هناك المزيد من الألغام الحية في تلك الأماكن. إنه شعور مؤلم ولكن هذا ما فعلناه، فلم يكن أمامنا خيار آخر.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا



علي حسن النفاع، مهديّة الحشيش وزوجها حسين علي؛ حسين الحشيش ومحمد الحشيش وحسين ابراهيم الحشيش، ومحمد علي الحشيش. صورة خاصة

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية



صور من القمر الاصطناعي تظهر المنزل الذي قتل فيه 9 أفراد من عائلة الحشيش في قصف لقوات التحالف، قبل وبعد الغارة.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

هجمات أخرى بالمنطقة

خلال تقصّي هذه الحالة، زار باحثو منظمة العفو الدولية مواقع ضربات أخرى، وجمعوا معلومات عن عدة حالات أخرى قُتل فيها مدنيون داخل بيوتهم أو حولها بالحي ذاته في الوقت نفسه. وقد قُتل بعضهم في ضربات جوية أو ضربات بالمدفعية شنتها قوات التحالف، بينما لقي آخرون مصرعهم على إثر قذائف هاون أطلقتها، على ما يبدو، "قوات سوريا الديمقراطية"، حيث اتضح لمنظمة العفو الدولية، من خلال شظايا قذائف الهاون التي جُمعت من مواقع تلك الهجمات وفحصها خبراء عسكريون، أنها قذائف هاون أمريكية من عيار 120 ميليمتراً، وهي التي تستخدمها "قوات سوريا الديمقراطية" (حيث أن أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية" غالباً ما يستخدمون قذائف هاون خاصة بهم تُصنع محلياً).⁴⁵

تقارير التحالف

نظراً لعدم تيسّر شهود العيان والناجين من التواريخ الدقيقة لحدوث الضربات، فقد فحصت منظمة العفو الدولية صوراً ملتقطة بالأقمار الاصطناعية للمواقع، وهو ما فعلته مع كلٍّ من الهجمات الواردة في هذا التقرير تفصيلاً. وأكدت صور الأقمار الاصطناعية أن منزل عائلة الحشيش قد دُمّر بين يومي 19 و30 أغسطس/آب 2017.⁴⁶ وأكد تحليل الخبراء لصور الأقمار الاصطناعية أن نمط التدمير الذي لحق بالمنزل يتسق مع آثار ضربة جوية، وتفيد مواد مستمدة من مصادر متاحة للاطلاع العام بأن الضربة الجوية وقعت في 19 أغسطس/آب 2017. وبالنظر إلى أن المبنى كان لا يزال قائماً في 18 أغسطس/آب، فقد دُمّر على الأرجح يوم 19 أغسطس/آب 2017.

وقد أصدرت "قوات المهام المشتركة/عملية العزم الصلب" المعلومات التالية حول الضربات "ضد إرهابيي تنظيم "الدولة الإسلامية" بالرقّة في 19 أغسطس/آب 2017، حيث أفادت بأنها نُقّدت إجمالاً 48 ضربة في الرقّة في ذلك اليوم:

بالقرب من الرقّة، نُقّدت خمس ضربات استهدفت وحدتين تكتيكيتين لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير ثلاثة مواقع قتالية.⁴⁷

في 19 أغسطس/آب، بالقرب من الرقّة بسوريا، نُقّدت 36 ضربة استهدفت 22 وحدة تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير 29 موقعاً قتالياً وسبعة نقاط للقيادة والمراقبة.⁴⁸

في 19 أغسطس/آب، بالقرب من الرقّة بسوريا، نُقّدت ست ضربات استهدفت وحدة تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير خمسة مواقع قتالية وعبوة ناسفة مُرتجلة، ونقطة للقيادة والمراقبة.⁴⁹

في 19 أغسطس/آب، بالقرب من الرقّة بسوريا، نُقّدت ضربة واحدة أدت إلى القضاء على وحدة تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية".⁵⁰

⁴⁵ صور للشظايا التقطها باحثو منظمة العفو الدولية، محفوظة لدى المنظمة.

⁴⁶ صفحة "الرقّة تُدبح بصمت" على موقع "فيسبوك"، منشور بتاريخ 1 سبتمبر/أيلول 2017. مُتاح على الرابط: <https://www.facebook.com/Raqqa.SI/posts/1666199833391261>

⁴⁷ "عملية العزم الصلب، "بيان الغارات الجوية-أغسطس/آب 2017"، بيان الغارات بتاريخ 12 أغسطس/آب 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/Strike-Releases/>.

⁴⁸ المصدر السابق، "بيان الغارات بتاريخ 21 أغسطس/آب 2017". [بالإنجليزية].

⁴⁹ المصدر السابق، "بيان الغارات بتاريخ 22 أغسطس/آب 2017". [بالإنجليزية].

⁵⁰ المصدر السابق، "بيان الغارات بتاريخ 23 أغسطس/آب 2017". [بالإنجليزية].

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

وقد نُغذت طائرات بريطانية بعض هذه الضربات، حيث أصدرت وزارة الدفاع البريطانية المعلومات التالية:
في يوم السبت 19 أغسطس/آب، واصلت طائرات مقاتلة من طراز "تورنيڤو" تقديم الدعم الجوي "لقوات سوريا الديمقراطية" في الرقّة، مما أسفر عن تدمير إحدى النقاط الحصينة للإرهابيين.⁵¹
وأثناء سير العملية في الرقّة، كانت وزارة الدفاع الفرنسية تصدر بين الحين والآخر تحديثات أسبوعية عن أنشطتها، بما في ذلك الضربات التي تنفّذها، إلا إنها لم تصدر أية معلومات بشأن أنشطتها في الأسبوع المشار إليه.

عائلة البدران

مقتل 39 مدنياً من عائلة واحدة و10 من جيرانهم في عدة ضربات جوية، أثناء فرارهم من حي إلى آخر

اختبأنا وسط الأتقاض حتى الصباح، لأن الطائرات كانت تحلّق فوقنا.
وفي الصباح، وجدنا جثة توليب، ابنتنا الصغيرة ماتت. دفنّاها في مكان قريب بجوار شجرة.⁵²

رشا البدران، إحدى الناجيات من الضربات الجوية

الطفلة توليب بدران التي قتلت و27 فرد من عائلتها و5 من جيرانها عندما قصفت قوات التحالف المنزل الذي التجؤوا إليه في 20 آب 2017. صورة خاصة



⁵¹ وزارة الدفاع البريطانية، "الغارات الجوية لسلاح الجو الملكي في العراق وسوريا: أغسطس/آب 2017". [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.gov.uk/government/publications/british-forces-air-strikes-in-iraq-monthly-list/raf-air-strikes-in-iraq-and-syria-august-2017>

⁵² مقابلة مع رشا البدران، الرقّة، 16 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

منظمة العفو الدولية

تُعدّ المحنة التي كابدتها عائلة البدران مثالاً مروّعاً على ما أصبح نمطاً لحياة المدنيين الذين حُوصروا في مدينة الرقّة، مع احتدام المعركة وتغير خطوط المواجهة حولهم. فقد قتل 39 من أفراد العائلة، من ثلاثة أجيال مختلفة، و10 من الجيران في ثلاث ضربات منفصلة سُنت على الأماكن نفسها التي احتموا بها، أثناء فرارهم من حي إلى آخر. ولم يتبع هؤلاء الضحايا أقاربهم الذين لاذوا بالفرار مبكراً من النزاع، لأنهم لم يظنوا أن الوضع سيتفاقم إلى هذا الحد. وقد أوضحت رشا البدران، وهي إحدى الناجيات، ما حدث آنذاك قائلةً:

كنا نظن أن القوات التي جاءت لإخراج "داعش" تعرف مهامها جيداً، وأنها سوف تستهدف "داعش" وتترك المدنيين لحالهم. ولكن هذه كانت سذاجة منّا. وعندما أدركنا في النهاية أن الوضع أصبح خطيراً في كل مكان، كان الوقت قد فات، فقد صرنا محاصرين.⁵³

ورشا سيدة في أواسط العشرينات، وزوجها عبد الوهاب البدران في أواخر العشرينات، وكان الاثنان فخورين بطفلتها، التي كانت تبلغ من العمر عاماً واحداً وتُدعى تولى. تقول رشا: "تناقشنا بشأن عدد من أسماء الزهور؛ واخترنا في النهاية التوليب". كانت ابنتها الوحيدة تولى ضمن أولئك الذين قُتلوا في آخر الضربات الثلاثة التي نجا منها الزوجان الشابان. وقالت رشا لمنظمة العفو الدولية: "كانت طفلة رائعة؛ عشنا هارين تحت القصف لأسابيع. ولم نستطع حمل لعبها معنا أثناء تنقلنا. لم نأخذ سوى الضروريات، ولكن سرعان ما تأقلمت ولم تثر ضجة. لقد كانت فرحتنا".⁵⁴

وكانت رشا تعيش مع عبد الوهاب في حي الفردوس، الذي يقع إلى شمال غربي وسط المدينة، ولا يبعد كثيراً عن الإستاد والمشفى الوطني.

وتواصل رشا حكايتها قائلةً:

كنا نعيش في الطابق الأول من مبنى مؤلف من ستة طوابق، لكي نكون في مأمن؛ ولكن قبل عيد الفطر بيومين [أي في يوم 27 رمضان] في حوالي الساعة التاسعة أو العاشرة مساءً، سقط ما لا يقل عن ثلاث قذائف مدفعية في الشارع خارج منزلنا. هربنا واحتمينا بمبنى بالقرب من فرن المراعي، وكان يتألف من أربعة طوابق، فبقينا بالطابق الأول. وأمضينا العيد به، ولكن بعد يومين، تعرّض المبنى للقصف (لم يكن واضحاً ما إذا كان ذلك قصفاً مدفعياً أو بقذائف الهاون) وأصيب أربعة من أقاربنا (رجلان وامرأتان). وهكذا، هربنا مجدداً، ولكن كان معنا أقاربنا المصابون، وكنا في حاجة لتوفير الرعاية الطبية لهم، فكانت حركتنا أكثر تقيداً، حيث كان من الصعب عليهم التحرك.

وفي هذه المرة، اجتازت العائلة عدة شوارع نحو الشمال الشرقي، إلى وسط الرقّة بالقرب من شارع المنصور. ولكنهم ظلوا هناك لمدة أربعة أيام، لأن تنظيم "الدولة الإسلامية" بدأ في جمع المدنيين من الشوارع إلى جنوب الطريق الرئيسي (شارع 23 شباط) وأجبرهم على الانتقال إلى الغرب والعودة مجدداً إلى حي الفردوس وحرارة البدو ونزلة شحادة. وقالت رشا لمنظمة العفو الدولية:

ذهبنا إلى شارع المنصور، واحتمينا بمنزل مكون من طابقين، ولكن بعد أربعة أيام، أجبرنا أفراد "داعش" على الانتقال إلى حي الفردوس وحرارة البدو. وهكذا، ذهبنا إلى نزلة شحادة. وفي 18 يوليو/تموز، هربنا لأن القتال كان يقترب من مكاننا. وأثناء هروبنا، قُتل تسعة من أقاربنا في عمليتي قصف، حيث قُتل خمسة منهم داخل أحد المنازل، وهم على وشك المغادرة، بينما قُتل الأربعة الآخرون داخل السيارة. وقد غادرنا

⁵³ المصدر السابق

⁵⁴ المصدر السابق

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

إلى جانب بقية النساء والأطفال، بينما كان الرجال بالمنزل يستعدون للمغادرة، حينما تعرض المنزل والسيارة للقصف.



أنقاض المنزل المدمر الذي قتل فيه 28 فرداً من عائلة البدران و5 من جيرانها في غارة جوية لقوات التحالف في 20 ب 2017 في الرقة. صورة لمنظمة العفو الدولية

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية



افراد من عائلة البدران الذيت قتلوا في 3 غارات متفرقة لقوات التحالف في 18 تموز و20 آب 2017 في الرقة. صورة خاصة.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

الضربات الجوية على نزلة شحادة

مقتل خمسة من أفراد عائلة (إلى جانب اثنين آخرين) في ضربة جوية على منزل، ومصرع أربعة آخرين في ضربة جوية على سيارة

أجبر تنظيم "الدولة الإسلامية" عائلة البدران على الانتقال إلى نزلة شحادة، ووصلوا إليها قُرادى، إذ كانوا يقيمون في أحياء مختلفة. وفي نزلة شحادة، بقوا بمنزل صغير، حيث كان الرجال في غرفة والنساء والأطفال في الغرفة المجاورة. وكان الخوف يتملّك أفراد عائلة البدران من القتال الذي أخذ يقترب، ولكنهم علموا أن أفراد "الدولة الإسلامية" لن يطلقوا النيران عليهم إلا إذا حاولوا الهرب من المنطقة. وكانت فرصتهم الوحيدة في المغادرة هو الانتظار حتى يكون أفراد التنظيم إما منخرطين انخراطاً تاماً في معركة أو يغربون هم أنفسهم من المنطقة. وفي 18 يوليو/تموز 2017، ومع احتدام القتال بالمنطقة، سنحت للعائلة فرصة الفرار.

واستطاع أفراد عائلة البدران الحصول على سيارتين، حيث تنقلوا بهما عدة مرات بشكل متعجل ومضطرب لنقل النساء والأطفال أولاً. وفي إحدى هذه المرات، تعرضت إحدى السيارتين للقصف من خلال ضربة جوية، حسيماً ورد، مما أدى إلى مصرع أربعة ذكور من أفراد العائلة الذكور كانوا بداخلها. وفي الوقت ذاته، دمّرت ضربة جوية أخرى المنزل الذي كان يقيم فيه الرجال في انتظار سيارة تقلهم. وأودت هذه الضربة بحياة خمسة من أفراد العائلة، إلى جانب رجلين آخرين كانا من أصدقاء أقارب العائلة، ولم يعرف الناجون اسميهما.

وزار مندوبو منظمة العفو الدولية المنزل المدمّر وتحدثوا إلى أفراد العائلة الكبيرة، الذين شهدوا الضربة وساعدوا لاحقاً في انتشار الجثث من تحت الأنقاض. وقال حسين، الذي فقد عمّه في الضربة، لمنظمة العفو الدولية:

كنتُ مع عائلة زوجتي بالقرب من المنزل الذي احتمت به عائلة البدران، إلى جانب زوج عمتي. ذهبتُ إليهم صباح ذلك اليوم [18 يوليو/تموز] لأسألهم إن كانوا يحتاجون أي شيء، وأخبروني بأنهم ينتظرون السيارة التي نقلت النساء والأطفال لكي تُقلّهم. وكانت النساء قد غادرن مع الأطفال قبل ذلك بقليل. كان لدى الرجال بعض الخبز والطعام الذي تركته لهم النساء ليأخذوه معهم إلى حيث سيذهبون. كان الحصول على الطعام في ذلك الوقت بالغ الصعوبة، ولهذا فما كانوا سيتركون الطعام. وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً، تمنيتُ لهم رحلة آمنة ثم ذهبتُ. بعد ذلك بقليل، قُصف المنزل. كانت ضربة جوية. كنتُ هناك ورأيتُ، وكان المنزل مدمراً بالكامل. لم نستطع الذهاب إلى المنزل مباشرةً بعد القصف، لأن الفذائف المدفعية كانت تتساقط على المنطقة. تسألني كيف عرفتُ أنها قذائف مدفعية؟ من صوتها فهو أعلى من صوت قذائف الهاون، وكذلك دوي ارتطامها.

وبعد ذلك بقليل، رأينا السيارة التي سبق أن أقفلت النساء والأطفال على بعد بضع شوارع. كانت قد أصابتها ضربة جوية، على ما أظن، وكانت تحترق. قُتل الرجال داخل السيارة. في البداية، رأيتُ جثتين فقط في الجزء الأمامي للسيارة، ثم رأيتُ الجثتين الآخرين في الجزء الخلفي.⁵⁵

وعاد حسين وبعض أقاربه في اليوم التالي للبحث عن الجثث ودفنها. وقالت إحدى قريباته لمنظمة العفو الدولية: "دفنناهم. لم تكن هناك جثة واحدة سليمة. أخرجنا الجثث أشلاء؛ ثم وضعناها داخل أكياس من البلاستيك ودفنناها".⁵⁶

وكان الذين قُتلوا في الضربة الجوية على المنزل بنزلة شحادة هم:

- 1- محمد أحمد بن محمد البدران (زوج شمسة)، وكان عمره 40 عاماً
- 2- دهام بن أحمد البدران (شقيق زوج شمسة)، وكان عمره 50 عاماً
- 3- إسماعيل سعيد (زوج صديقة)، وكان عمره 55 عاماً
- 4- إبراهيم سعيد بن إسماعيل (ابن صديقة)، وكان عمره 15 عاماً

⁵⁵ مقابلة مع حسين علي، الرقة، 11 فبراير/شباط 2017.

⁵⁶ مقابلة مع قريبة حسين علي، الرقة، 11 فبراير/شباط 2017.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

- 5 خالد بن إبراهيم البدران، وكان عمره 52 عاماً
- 6 رجل لم تُحدد هويته
- 7 رجل آخر لم تُحدد هويته

أما الذين لقوا حتفهم في الضربة الجوية التي استهدفت السيارة أثناء الهرب من نزلة شحادة، فهم:

- 1. مصطفى محمد البدران (ابن شمسة والمعروف أيضاً باسم ستيف)، وكان عمره 14 عاماً
- 2. خالد إسماعيل، وكان عمره 17 عاماً
- 3. محمد حسين شماري (ابن حَوْد)، وكان عمره 24 عاماً
- 4. حسن دندوش بن حسين (ابن طريفة ساهور)



صور من القمر الاصطناعي تظهر المنزل الذي قتل فيه 7 أفراد من عائلة البدران بقصف لقوات التحالف في 18 تموز 2017، قبل وبعد.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

الضربات الجوية في حارة السخاني

عادت رشا وعبد الوهاب وأقاربهما الباقون على قيد الحياة إلى حي الفردوس، لكي يكونوا بالقرب من المشفى، حتى يتسنى للأقارب المصابين الحصول على بعض الرعاية الطبية. وكان منزلهم في حي الفردوس قد دُمّر، فبقوا بمنزل جيرانهم، وظلوا هناك لمدة شهر، إلا إن المشفى توقف عن العمل، ولم يعد بإمكانهم الحصول على الخبز أو الماء، فذهبوا إلى حارة السخاني في المدينة القديمة، بعدما علموا أن بها طبيياً لا يزال يزاول عمله.

وهناك وجدوا الطبيب، كما أوضحت رشا، وُدعى الدكتور سفيان ديلي، وقد بذل قصارى جهده لمعالجة الأقارب. كما وجدت العائلة منزلين للإقامة، ولكن المنطقة لم تكن آمنة. وفي 18 أغسطس/آب أو نحو ذلك، انضمت رشا وعبد الوهاب وتوليب والناجون من عائلة البدران، بعد وصولهم بفترة وجيزة، إلى بعض السكان المحليين وقرروا الفرار كمجموعة واحدة.⁵⁷ وعندما وصلت المجموعة، المكونة من 65 شخصاً، إلى شارع تل أبيض حتى فرن الأندلس، صادفوا ثلاثة مقاتلين من تنظيم "الدولة الإسلامية" أطلقوا عليهم النيران. ولقي الدكتور ديلي مصرعه وأصيب والده، فعادت العائلة إلى المنزلين في حارة السخاني. ووصفت رشا ما حدث قائلةً:

وهكذا، عدنا إلى السخاني. لم يكن أمامنا خيار آخر. وبعد يومين، [يوم 20 أغسطس/آب]، تعرضنا للقصف، حيث قُصف المنزلان اللذان أوينا إليهما. الجميع تقريباً قُتلوا. لم ينج أحد غيري أنا وزوجي وشقيقه وابن عمه. وقعت الضربة في حوالي الساعة السابعة مساءً. أُغمي عليّ، وعندما أفتتُ سمعتُ ابن عم زوجي، محمد، وهو يصيح طالباً النجدة. لم أكن أستطيع الحركة أو الكلام. وبعد ذلك، عثر زوجي وشقيقه عليّ. كان زوجي هو الأشد إصابة [من بين الناجين]، فقد أُصيب بجرح في رأسه وكان الدم يتدفق من أذنيه. كان الظلام دامساً، ولم نكن نستطيع أن نرى شيئاً. أختنا نصيح طلباً للنجدة، ولكن لم يرد علينا أحد، ولم يتحرك أحد. كان هناك صمت كامل، باستثناء الطائرات التي تحوم فوقنا.

اختبأنا وسط الأنقاض حتى الصباح، لأن الطائرات كانت تحلق فوقنا. وفي الصباح، وجدنا جثة توليب، ابنتنا الصغيرة ماتت. دفنّاها في مكان قريب بجوار شجرة.

كما دُمّر المنزلان تماماً. لم يبق أي شيء قائماً. لم يبق سوى الأنقاض. كان المنزلان من البيوت العربية البسيطة؛ لم يكونا من المنازل المتينة. لا أفهم لماذا قصفونا؟ ألم تكن طائرات المراقبة ترى أننا عائلات من المدنيين؟⁵⁸

وكان الذين قُتلوا في منزل العائلة الرئيسي في حارة السخاني هم:

سبعة أشقاء - ست أخوات وأخ واحد (علي):

- 1- ثريا بنت مصطفى الدهام، وكانت في الستينات من عمرها
- 2- سمية بنت مصطفى الدهام، وكان عمرها 55 عاماً (أرملة، ليس لديها أبناء)
- 3- عبطة بنت مصطفى الدهام، وكانت في الخمسينات من عمرها
- 4- علي بن مصطفى الدهام، وكان عمره 50 عاماً
- 5- خَود بنت مصطفى الدهام، وكان عمرها 48 عاماً
- 6- شمسة بنت مصطفى الدهام، وكان عمرها 40 عاماً (وقُتل زوج شمسة في نزلة شحادة)
- 7- صديقة بنت مصطفى الدهام، وكان عمرها 38 عاماً (وقُتل زوج صديقة في نزلة شحادة)

ابن ثريا وعائلته:

- 8- إبراهيم ابن خليل الدهام، وكان في أواخر العشرينات/ أوائل الثلاثينات من عمره

⁵⁷ كثيراً ما يكون من الصعب على شهود العيان والناجين تذكّر التواريخ بدقّة، وسط الصدمات والمعاناة في الحياة اليومية.

⁵⁸ مقابلة مع رشا البدران، الرقّة، 16 فبراير/شباط 2017.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

- 9- مادونا الدهام، وكانت في منتصف العشرينات (زوجة إبراهيم - تعود أصولها إلى دمشق)
- 10- ابن مادونا، وكان في الخامسة من عمره
- 11- الابن الثاني لمادونا، وكان في الثالثة من عمره
- 12- ابنة مادونا، ذات التسعة أشهر

أبناء عبطة:

- 13- قيس بن محمد السهو، وكان عمره 20 عاماً (ابن عبطة)
- 14- ميس بنت محمد السهو، وكان عمرها 19 عاماً (ابنة عبطة)

ابنة خَوْد:

- 15- رنا بنت حسين الشماري، وكان عمرها 18 عاماً (ابنة خَوْد)

أبناء شمسمة:

- 16- سحر بنت محمد البدران، وكان عمرها 18 عاماً
- 17- سجي بنت محمد البدران، وكان عمرها 16 عاماً
- 18- أحمد بن محمد البدران، وكان عمره عشرة أعوام
- 19- حمزة بن محمد البدران، وكان في التاسعة من عمره
- 20- دهام بن محمد البدران، وكان في الرابعة من عمره

(وكان مصطفى، ابن شمسمة السادس، قد قُتل قبل ذلك في نزلة شحادة، وكذلك زوجها)

أبناء صديقة:

- 21- سدرة سعيد بنت إسماعيل، وكانت عمره 12 عاماً
- 22- منذر سعيد بن إسماعيل، وكان عمره 11 عاماً
- 23- أصيل سعيد بن إسماعيل، وكان في السادسة من عمره
- 24- خاتون وهاب، وكان عمرها 75 عاماً

كما قُتل أربعة آخرون لا ينتمون لعائلة البدران، وهم:

- 25- أبو رياض، وكان في الستينات من عمره
- 26- سعاد (زوجة أبو رياض، وأصلها من العراق)، وكانت في الخمسينات من عمرها
- 27- مها (ابنة أبو رياض وسعاد)، وكانت في منتصف العشرينات
- 28- أمينة رقيم، وكانت في الستينات من عمرها (شقيقة أبو رياض)

أما هؤلاء الذين لقوا مصرعهم في المنزل الواقع على الجانب المقابل من الشارع بحارة السخاني، فهم:

1. إبراهيم الوهب فهد، وكان في السبعينيات من عمره (وكان شيخ أحد القبائل)
2. خديجة بنت طيب السهو، (زوجة إبراهيم)، وكان عمرها 60 عاماً
3. تولى فهد، (ابنة رشا وعبد الوهاب)، وعمرها عام
4. محمد خليل البدران، وكان عمره يتراوح بين 32 و33 عاماً
5. سناد ضابا، (وهو أصلاً من حلب)، وكان عمره 19 عاماً

كما لا يزال أحد أفراد العائلة مفقوداً. فعندما كانت العائلة تقيم بحي الفردوس (انظر ما يلي)، خرج محمد فهد، البالغ من العمر 72 عاماً، سيراً على قدميه للبحث عن الماء، وذلك قبل حوالي 20 يوماً من وقوع الضربات على حارة السخاني (في أواخر يوليو/تموز 2017)، ولكنه ولم يعد، ولا تعلم العائلة ما حدث له.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

الضربة الجوية على حي الفردوس

سرعان ما أدرك الزوجان الشابان وقربيهما أنهم الناجون الوحيدون. وبعدها دفنوا الطفلة تولىب، غادروا حارة السخاني في محاولة للعثور على مكان آمن يأويهم. وتحكي رشا البدران ما حدث آنذاك قائلةً:

[بعد الضربة الجوية في 20 أغسطس/آب]، عدنا إلى [حي] الفردوس، إلى المنزل نفسه. وبعد ذلك، حاولنا الهرب. ذهب أسامة ومحمد، شقيق زوجي وابن عمه، إلى أحد الجيران لسؤاله عما إذا كان يريد الانضمام إلينا، حتى نغادر كمجموعة. وبمجرد أن خرجا من منزل جارنا وحاولا عبور الشارع، قصفت طائرة بدون طيار الطريق، فركضا عائدين إلى منزل جارنا. وعلى الفور، قصفت طائرة المنزل (المؤلف من ثلاثة طوابق) ودمّرتة. وقُتل محمد وأسامة ومالك المنزل وضيغان آخران.⁵⁹

واختبأنا داخل القبو لمدة ثلاثة أيام، ثم اكتشف أفراد "داعش" أمرنا وطلبوا منّا الرحيل. سرنا، أنا وزوجي وخمسة من جيراننا، نحو الإستاد وحارة البدو. وأقمنا لمدة ليلتين بحارة البدو، ثم ذهبنا إلى مسجد قريب (مسجد النووي) وأمضينا ليلة واحدة. كان هناك ما يقرب من 60 أو 65 شخصاً يحتمون بالمسجد. وأخيراً، في 17 سبتمبر/أيلول في حوالي الساعة الرابعة فجراً، ساعدنا صوت أذان الفجر في التغطية على أصوات خطواتنا، فاستطاع حوالي 25 شخصاً منّا عبور الجبهة والوصول إلى "قوات سوريا الديمقراطية". أما الباقون فلم يستطيعوا الوصول لأن قنّاصة "داعش" راحوا يطلقون النار عليهم فاضطّروا للعودة. لا أعلم كم منهم ظل حياً، أو ما إذا كان أحدٌ قد قُتل على أيدي "داعش" أو قصف قوات التحالف.⁶⁰

وبعد أسابيع من الاختباء والفرار، تمكن الزوجان الشابان أخيراً من الوصول إلى مكان آمن. وقد فقدوا ابنتهم الصغيرة و38 من أفراد عائلتهم أثناء محتهم.

⁵⁹ على خلاف مواقع الضربات التي سُنت على نزلة شحادة وحارة السخاني، لم تتمكن منظمة العفو الدولية من زيارة موقع الضربات التي سُنت على الفردوس، حيث قُتل خمسة مدنيين في ضربة جوية، وفقاً لأقوال الشهود الذين أجرت معهم المنظمة مقابلات.

⁶⁰ مقابلة مع رشا البدران، الرقة، 16 فبراير/شباط 2017.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا



صور من القمر الاصطناعي تظهر المنزل الذي قتل فيه 28 فرداً من عائلة البدران وجيرانهم الخمسة بقصف جوي لقوات التحالف في 20 آب 2017، قبل وبعد الضربة.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

تقارير التحالف

أصدرت "قوات المهام المشتركة/عملية العزم الصلب" المعلومات التالية حول الضربات "ضد إرهابيي تنظيم "الدولة الإسلامية" في الرقة في 18 يوليو/تموز، حيث أفادت بأنها نَقَدَت إجمالاً 30 ضربة بالرقة في ذلك اليوم:

في 18 يوليو/تموز، بالقرب من الرقة، نُقِدَت 12 ضربة استهدفت 11 وحدة تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير تسعة مواقع قتالية، ومركبتين، ومركبة تكتيكية خفيفة.⁶¹

في 18 يوليو/تموز، بالقرب من الرقة، نُقِدَت 18 ضربة استهدفت 12 وحدة تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير 18 موقعاً قتالياً ونظام مدفعي مضاد للطائرات، ومخبأ للأسلحة وموقع قنّاصة، وإلحاق أضرار بموقع قتالي وطريق إمداد.⁶²

كما أصدرت "قوات المهام المشتركة" المعلومات التالية حول الضربات "ضد إرهابيي تنظيم "الدولة الإسلامية" في الرقة في 20 أغسطس/آب 2017، حيث أفادت بأنها نَقَدَت إجمالاً 54 ضربة بالرقة في ذلك اليوم:

في 20 أغسطس/آب، بالقرب من الرقة، نُقِدَت 21 ضربة استهدفت 14 وحدة تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير 22 موقعاً قتالياً، ومنطقتي تجمع للطائرات بدون طيار، ومدفعين رشاشين ثقيلين، ومركبة، ومخبأ للمتفجرات.⁶³

في 20 أغسطس/آب، بالقرب من الرقة بسوريا، نُقِدَت 33 ضربة استهدفت 21 وحدة تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن تدمير 41 موقعاً قتالياً، وخمس نقاط للقيادة والمراقبة، وعبوة ناسفة مُرتجلة ومقر للتنظيم، ومخبأين للإمدادات، ومعدات هندسية تابعة للتنظيم، ومنظومة طائرات بدون طيار تابعة للتنظيم.⁶⁴

كما أفادت وزارة الدفاع البريطانية، من خلال التحديث التالي، بأنها نَقَدَت ضربات جوية على ما لا يقل عن هدفين في الرقة في 20 أغسطس/آب:

في 20 أغسطس/آب الأحد، قصفت طائرات مقاتلة من طراز "تايفون" موقعاً آخر لداعش في الرقة.⁶⁵

ولم تصدر وزارة الدفاع الفرنسية معلومات حول أنشطتها خلال الأسبوعين اللذين بدأ أولهما في 18 يوليو/تموز 2017 والثاني في 20 أغسطس/آب 2017.

وكانت التقارير عن الوقائع في أواخر أغسطس/آب وأوائل سبتمبر/أيلول 2017 (حيث لم يستطع الناجون تذكّر تاريخ وقوع الضربة على حي الفردوس، والتي أدت إلى مقتل أسامة ومحمد البدران وثلاثة آخرين على نحو الدقة) تتسم بالإبهام أيضاً، حيث لم يتبين منها ما إذا كانت الضربات المذكورة في البيانات هي نفسها تلك التي أدت مقتل أفراد عائلة البدران.

⁶¹ عملية العزم الصلب، "بيان الغارات الجوية-يوليو/تموز 2017، بيان الغارات بتاريخ 19 يوليو/تموز 2017". [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/Strike-Releases/>

⁶² المصدر السابق، بيان الغارات بتاريخ 20 يوليو/تموز 2017". [بالإنجليزية].

⁶³ عملية العزم الصلب، "بيان الغارات الجوية، بيان الغارات بتاريخ 21 أغسطس/آب 2017". [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/Strike-Releases/>

⁶⁴ المصدر السابق، "بيان الغارات بتاريخ 22 أغسطس/آب 2017". [بالإنجليزية].

⁶⁵ وزارة الدفاع البريطانية، "الغارات الجوية لسلاح الجو الملكي في العراق وسوريا: أغسطس/آب 2017". [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:

<https://www.gov.uk/government/publications/british-forces-air-strikes-in-iraq-monthly-list/raf-air-strikes-in-iraq-and-syria-august-2017#sunday-20-august>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

عائلة الفياض

مقتل 16 من أفراد العائلة وجيرانها في ضربتين جويتين متزامنتين

"أصرّ على أنه عاش هنا 50 عاماً ولن يخرج من بيته هؤلاء الذين سيطروا على المدينة والذين كان يعتبرهم أميين وجهلة ومتطرفين"⁶⁶

"فارس" الفياض، أحد الناجين من الضربتين الجويتين

لا أحد يعرف سن الفياض محمد سيف بشكل محدد، لكنه كان في الثمانينات عندما قُتل في 12 أكتوبر/تشرين الأول 2017، هو وبناته الثلاث و11 شخصاً آخرين من أقاربه ومعارفه. وقد دمرت طائرات التحالف منزله ومنزل شقيق زوجته، حسين حمد فارس، الذي يقع قبالة منزله على الجانب الآخر من الشارع الضيق وكان يحتمي به أقارب وجيران آخرون. وجاءت الضربة الجوية في الوقت الذي بدأ فيه تطبيق وقف لإطلاق النار أدى بعد ذلك بثلاثة أيام إلى السماح للباقيين من مقاتلي "الدولة الإسلامية"، وعددهم بالمئات، بمغادرة الرقّة في أمان مع التمتع بالحصانة التامة من المساءلة.

وكان الفياض يُعرف بكنيته "أبو سيف"، وهو اسم أكبر أبنائه. وقد تزوج في سن متأخرة بمعايير جيله، لدى عودته من العمل في الكويت، وكان آنذاك في أواخر الثلاثينات أو أوائل الأربعينات. وأقام أبو سيف ما لا يقل عن أربعة عقود في منزله منذ كانت المنطقة تخلو من أي أبنية عالية. وقد عاش طويلاً في حي حارة البدو حتى صار أهل المنطقة يطلقون على الشارع الذي يعيش فيه اسم "شارع أبو سيف".

وعمل أبو سيف في البداية مورداً لمواد البناء. وفي وقت لاحق، كان يورّد المنتجات للمتاجر الكبيرة. وقد تجمعت لديه بعد أن عمل طوال حياته موارد مالية كبيرة. ولأنه كان رجلاً متديناً يحب الصلاة ويواظب عليها، فقد كان يشكو من أن متشدد تنظيم "الدولة الإسلامية" يتحدثون باسم دين لا يعرفون عنه شيئاً. وتعمّد أبو سيف، طوال فترة حكم تنظيم "الدولة الإسلامية" في الرقّة الذي استمر ثلاثة أعوام ونصف العام، أن يواظب على حلاقة ذقنه كل اثنين وخميس كما كان يفعل دائماً، متحدياً أحكام التنظيم التي تقتضي من الرجال إطالة لحاهم. وقد "كانت هذه طريقته في المقاومة وإبداء التحدي"، على حد قول أقاربه لمنظمة العفو الدولية. وكان التنظيم يتغاضى عنه، على ما يبدو، بسبب سنه والاحترام الذي يتمتع به في الحي. بل وكان لديه وصلة إنترنت سرية في منزله، وهي "جريمة" تستوجب عقاباً صارماً في ظل حكم تنظيم "الدولة الإسلامية" إذا اكتُشفت.⁶⁷

وكان يحب قضاء الوقت مع الأطفال. وقال ابن أحد الجيران للمنظمة: "كان يُضحكنا بإطلاق الدعابات وأداء أغاني مضحكة".⁶⁸

وكان أبو سيف يقول لأبنائه إنهم كل ما يعنيه، هم وبيته، والباقي أمره إلى الله. ورفض أن يغادر بيته عندما بدأت العملية العسكرية لاستعادة الرقّة (في أوائل يونيو/حزيران 2017). وقد قال أحد أقارب أبو سيف لمنظمة العفو الدولية إنه "أصر على أنه عاش هنا 50 عاماً ولن يخرج من بيته هؤلاء الذين سيطروا على المدينة والذين كان يعتبرهم

⁶⁶ مقابلة مع "فارس" الفياض (حُجِبَ الاسم الحقيقي لدواع أمنية)، الرقّة، 11 فبراير/شباط 2017.

⁶⁷ كان كل من يُضَيِّط لديه هاتف أو وصلة إنترنت يُشتبه في تجسسه على الدولة الإسلامية ويكون عرضة للقتل.

⁶⁸ مقابلة مع محمد، 13 سنة، وهو أحد جيران أبو سيف، الرقّة، 11 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

أميين وجهلة ومتطرفين".⁶⁹ وبقي معه أغلب أبنائه خلال الحصار، وغادر بعضهم المدينة مع أسرهم. وقد قضاوا أغلب الوقت داخل البيت الكبير المؤلف من طابق واحد يقتاتون أساساً على التمر والخبز ويستخدمون وصلة إنترنت سرية في الاتصال بأفراد العائلة الموجودين خارج المدينة. كان لديهم المال، لكن لم يكن هناك كثير من الطعام الذي يمكن شراؤه.

⁶⁹ مقابلة مع "فارس" الفياض (حُجِبَ اسمه الحقيقي لدواع أمنية)، الرقّة، 11 فبراير/شباط 2017.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

منظمة العفو الدولية



فياض محمد وبناته وفاء وفداء وتمام، عمار الفارس وريم الممداد ويسرا عبد العزيز والطفلة رزقية حبيب وحاسم حلال وسالم حمد. كانوا من بين 16 مدنياً الذين قتلوا بغارة لقوات التحالف في 12 تشرين الاول 2017. صورة خاصة

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

المرحلة الأخيرة من المعركة

كان حي حارة البدو، وهو منطقة مكتظة بالمباني في وسط الرقة بجوار الإستاد الرياضي، ساحة المعركة الأخيرة في المدينة بين "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات التحالف من جهة وتنظيم "الدولة الإسلامية" من جهة أخرى. وكما كان الحال في أنحاء الرقة الأخرى، فقد فرض التنظيم قيوداً على خروج الناس من حارة البدو منذ بداية النزاع. ومع تقدم "قوات سوريا الديمقراطية" في المدينة وسيطرتها على مزيد من أنحاءها، تراجع مقاتلو "الدولة الإسلامية" إلى المنطقة المحيطة بالإستاد، بما في ذلك حارة البدو. كما ضاعف مقاتلو التنظيم جهودهم لإرغام المدنيين على الانتقال من مناطق أخرى إلى حارة البدو لاستخدامهم دروعاً بشريةً. ونتيجةً لذلك، كان عدد المدنيين في حارة البدو مرتفعاً خلال المراحل الأخيرة من المعركة وقد زاد الهرب صعوبة على صعوبة. وقال عمار أمير، وهو سائق سيارة أجرة ظل في منزله طوال الحصار، لمنظمة العفو الدولية "كانت جميع المنازل مكتظةً بالناس، وفي كثير منها أفراد من تنظيم "الدولة الإسلامية" من والمدنيين على السواء".⁷⁰

بداية وقف إطلاق النار

في أوائل أكتوبر/تشرين الأول، أبلغ مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية" المدنيين في حارة البدو بأن وقفاً لإطلاق النار سيسري بينهم وبين "قوات سوريا الديمقراطية" التي تحاصر الحي وسيُسمح بموجبه لمقاتلي التنظيم والمدنيين بمغادرة المنطقة. إلا إن مقاتلي التنظيم من أبناء المنطقة أبلغوا الناس كذلك بأن "قوات سوريا الديمقراطية" مستعدة للسماح لمقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" السوريين بمغادرة المنطقة، لكنها لا تريد أن يشمل هذا الامتياز المقاتلين الأجانب. ووفقاً لما ذكره أفراد كانوا موجودين في المنطقة في ذلك الوقت، فقد كان في صفوف تنظيم "الدولة الإسلامية" في حارة البدو كثير من المقاتلين التونسيين والسعوديين إلى جانب أفراد سوريين من أعضاء التنظيم قادمين من حمص وحلب.

ودخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في 9 أو 10 أكتوبر/تشرين الأول 2017. وكان المفترض أن يصمد ثلاثة أيام قبل السماح لمقاتلي "الدولة الإسلامية" والمدنيين المحاصرين بمغادرة المدينة، لكنه لم يستمر. فقد أبلغ السكان منظمة العفو الدولية بأن بعض مقاتلي "الدولة الإسلامية" أطلقوا نيران الهاون والبنادق الآلية في اتجاه "قوات سوريا الديمقراطية" في نحو الرابعة بعد الظهر يوم 11 أكتوبر/تشرين الأول، فيما يعتقد سكان المنطقة أنه محاولة متعمدة من جانب المقاتلين الأجانب المتشددين لدفع وقف إطلاق النار إلى الانهيار. فعلى سبيل المثال، فسّر سائق سيارة الأجرة عمار هذا بوجود خلاف بين مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" المحليين والمقاتلين الأجانب الذين كانوا متشككين في شروط وقف إطلاق النار. وبعد خرق وقف إطلاق النار، أخذ أعضاء التنظيم الآخرون يبحثون عن المسؤولين عن ذلك. وردّت "قوات سوريا الديمقراطية" وقوات التحالف على الفور تقريباً بقصف مدفعي وضربات جوية. وأبلغ السكان منظمة العفو الدولية بأن الهجوم كان ضارياً واستمر طوال المساء والليل.

⁷⁰ مقابلة مع عمار أمير، الرقة، 11 فبراير/شباط 2018.

"شعرت أن سقف البيت قد انهار فوقني... ناديت على زوجتي وأمي وابنتي فلم يجبني أحد... وأدركت أن الجميع قد ماتوا."

علي حبيب، وهو سائق سيارة أجرة كان له ستة أبناء

كان منزل أبو سيف ومنزل حسين حمد فارس الواقع قبالة على الجانب الآخر من الشارع الضيق من بين آخر المنازل التي ضربت في الساعات الأولى من صباح يوم 12 أكتوبر/تشرين الأول 2017. وكان علي حبيب وأسرته ضمن من يحتمون في منزل حسين حمد فارس. وقتلت زوجته وابنته الرضيعة وأمه، وكذلك حسين حمد فارس وابنه عمار وخمسة آخرون من الجيران كانوا يحتمون هناك. ونجا علي حبيب وابنه البالغ من العمر خمس سنوات وقد أصيبا بجروح بالغة.

وكان علي حبيب، وهو سائق سيارة أجرة له ستة أبناء، يرعى، بالإضافة إلى أسرته، أخاه وأخواته الأربع غير الأشقاء وزوجه أبيه طريحة الفراش. ولم يكن بمقدوره دفع أموال للمهربين لإخراج أسرته من الرقّة. وكحال كثير من السكان، غادرت الأسرة منزلها وحاولت أن تجد السلامة حيثما استطاعت. وقال علي حبيب لمنظمة العفو الدولية:

عندما بدأت الحرب في الرقّة ذهبنا في البداية للإقامة قرب النهر، على الضفة الشمالية للنهر، بجوار الجسر القديم. ومكثنا هناك 21 يوماً في خيمة. لكن بعد العيد مباشرة أجبرنا أفراد "داعش" على الانتقال من هناك والعودة إلى المدينة.⁷¹

وانتقلت الأسرة آنذاك إلى حارة الكويت لكنها اضطرت للانتقال من جديد بعد يومين بسبب تعرض المنطقة لنيران الهاون والمدفعية والضربات الجوية. وأصيب المنزل ذو الطابقين الذي لجأوا إليه إصابة مباشرة وفرت الأسرة إلى شارع الانتفاضة، لكنها سرعان ما تعرضت للنيران هناك أيضاً. وبعد خمسة أيام فرّت الأسرة إلى حارة البدو، حيث لجأت في البداية إلى شقة خالية وجدتها في بناية من أربعة طوابق. وحاولت الأسرة الهرب من جديد بعد إعلان وقف إطلاق النار أول الأمر في حوالي 10 أكتوبر/تشرين الأول، لكن لم يتمكن من ذلك سوى شقيق علي حبيب مع بنات علي حبيب الثلاث الكبريات وابنه الأكبر. واضطر علي حبيب وبقيّة الأسرة إلى العودة بسبب نيران قنّاصة "الدولة الإسلامية"، فعادوا إلى الشقة نفسها التي كانوا قد غادروها لتوهم. ومع انهيار وقف إطلاق النار مساء 11 أكتوبر/تشرين الأول، اشتد القصف والضربات الجوية. وقال علي حبيب لمنظمة العفو الدولية:

في البداية، احتمينا في شقة خالية في مبنى من أربعة طوابق. وفي الثالثة صباحاً أصيب المبنى المقابل لنا في ضربة جوية وانهار. وكانت الشظايا تتطاير في كل مكان وأصبت أنا وابني الصغير بالشظايا. كنا مرعوبين. وفي الرابعة صباحاً حاولنا مغادرة الشقة. ولم تبق سوى زوجة أبي لأنها لا تستطيع أن تتحرك وبقيت معها واحدة من بناتها. وقد دُمرت سيارتي الصغيرة في ذلك القصف فلم أستطع نقل زوجة أبي. وقرر إخوتي غير الأشقاء اللجوء إلى مبنى قريب، وذهبت أنا وزوجتي وأبنائنا وأمي إلى أبو سيف (القياض). وطلبنا الاحتماء فقال لي عمار إن بإمكاننا البقاء في منزل أبيه (قبالة منزل أبي سيف). طرقت الباب هناك ورحّب بنا أبوه حسين.

وبعد قليل من وصولنا هناك وقع القصف. كنتُ أجلس على كرسي أحمل ابني الصغير (خمس سنوات)، وكانت النسوة يجلسن على الأرض يتسامرن معاً... شعرتُ أن سقف البيت قد انهار فوقني. لم أكن أستطيع

⁷¹ مقابلة مع علي حبيب، قرب الرقّة، 14 فبراير/شباط 2018.

أن أتحرك، ولم أجد ابني الصغير بجاني. ناديتُ على الحاج حسين، ثم ناديتُ على زوجتي وأمي وابنتي فلم يرد أحد منهن... أدركتُ أن الجميع قد ماتوا. وكان أحد الجيران الذين احتضنوا بالمنزل ممدداً بجواري. لم يكن به سوى رمق من الحياة وتوفي على الفور تقريباً.

وبعد ذلك، سمعتُ ابني محمد يستغيث، فمحنني ذلك العزيمة لكي أنتشل نفسي من الأنقاض وأذهب إليه. كان الانفجار قد ألقاه لمسافة 10 أمتار تقريباً. وقد أصبنا نحن الاثنين. وأغشي عليّ وعندما استعدت وعيي سمعتُ أصواتاً في الجانب الآخر من الأنقاض التي كانت تحيط بنا أنا وابني فاستغثت. وفي النهاية أزال الناس بعض الأنقاض وانتشلونا. وفي وقت لاحق ذلك اليوم، في نحو الرابعة بعد الظهر، سمعنا أن وقفاً آخر لإطلاق النار سيُطبق.⁷²

وقال عمار أميرو، وهو من جيران أبو سيف وكان في المنطقة وساعد في انتشار جثث أبو سيف وأفراد أسرته من تحت الأنقاض، لمنظمة العفو الدولية:

عندما خرقوا [تنظيم "الدولة الإسلامية"] وقف إطلاق النار كنتُ مع أسرتي وبعض الأقارب والجيران في قبو يقع بعد المنعطف التالي لمنزل أبي سيف. وخرجتُ في الثامنة والنصف أو التاسعة صباحاً كي أرى من قُتل ومن يحتاج إلى مساعدة. وفي الشارع أمام منزلي قابلتُ مصرياً من أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية" فأبلغني بأنه جرى تثبيت وقف إطلاق النار وسنستطيع جميعاً مغادرة المدينة بعد ثلاثة أيام.

وبعد مسافة أخرى صغيرة في الطريق قابلتُ مدنياً أبلغني بأن منزل أبو سيف سُوي بالأرض. كنتُ أسير متوكئاً على عصا حيث إنني أصبتُ بعجز - كنتُ أعاني من حالة نفسية أصبتُ بها بعد موت ابني. سرتُ منعتراً حول المنعطف فوجدتُ المنزل قد سُوي بالأرض. وكان في الشارع سوري من مقاتلي "الدولة الإسلامية". وأخبرني بأنه خرج من قبو من أجل الصلاة في نحو الرابعة والنصف صباحاً ولم يكن المنزل قد أُصيب وقتها. ولابد أنه كان آخر منزل يضره قبل توقف القصف في الخامسة صباحاً. وجدتُ النصف الأسفل من أبو سيف في الأنقاض. وكان يمكن رؤية أم عبد الله كذلك بين الأنقاض لكن ساقها كانتا تحتها. وكانت مية.⁷³

وكان الذين قُتلوا في منزل أبو سيف هم:

- 1- الفياض محمد سيف (أبو سيف)، فوق الثمانين
- 2- أم عبد الله، 42 أو 43 سنة (شقيقة أبو سيف)
- 3- وفاء محمد بنت الفياض، في أواخر الأربعينات (ابنة أبو سيف)
- 4- فضاة محمد بنت الفياض، 40 سنة (ابنة أبو سيف)
- 5- تمام محمد بنت الفياض، 20 سنة (ابنة أبو سيف الصغرى)

وكان الذين قُتلوا في الضربة الجوية التي دمرت المنزل المقابل لمنزل أبو سيف هم:

- 1- حسين حمد فارس ابن موسى، 60 سنة (شقيق زوجة أبو سيف)
- 2- عمار حمد فارس، 32 سنة (نجت زوجة عمار وطفله لأنهما كانا خارج الرقعة)
- 3- جاسم حمد سالم، 65 سنة (زوج ابنة أبو سيف)
- 4- سالم حمد سالم ابن جاسم، 30-35 سنة (ابن جاسم)
- 5- ريم مداد بنت أسعد، 32 سنة (زوجة علي حبيب)
- 6- رزقية حبيب بنت علي، 18 شهراً (ابنة علي وريم)
- 7- يسرا عبد العزيز بنت إسماعيل، 54 عاماً (أم علي حبيب)

⁷² مقابلة مع علي حبيب، قرب الرقعة، 14 فبراير/شباط 2018.

⁷³ مقابلة مع عمار أميرو، الرقعة، 11 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقعة بسوريا

- 8- أبو إبراهيم
- 9- أبو عبد الله
- 10- ياسين
- 11- إحدى الجارات

الضربات الموجهة لأماكن الحصول على الماء

تعرّض حي حارة البدو، خلال الحصار الذي استمر عدة أسابيع، لعدة ضربات جوية، لكنها لم تكن بكثافة الضربات التي تعرّض لها الليلة السابقة لوقف إطلاق النار، وهي الليلة التي قُتل فيها أبو سيف وعائلته. وكان المبنى السكني الذي يقيم فيه عمار قد لحقت به أضرار في ضربة جوية، ومن ثم لجأ مع كثير من الناس إلى قبو قريب. وأبلغ منظمة العفو الدولية بأن ما بين 20 و25 شخصاً، أغلبهم مدنيون و بينهم بعض أعضاء تنظيم "الدولة الإسلامية" قُتلوا في ضربة جوية في "اليوم الثاني أو الثالث من العيد" [26-27 يونيو/حزيران 2017] عند صنوبر عمومي للمياه بجوار المنعطف القريب من منزل أبو سيف. وكان تنظيم "الدولة الإسلامية" قد قام، كما فعل في أماكن أخرى، بتركيب صناديق في الشارع متصلة ببئر قريبة، يذهب إليها الناس، سواء من المدنيين أو أفراد التنظيم، لملء أوعيتهم والعودة بها لملاحتهم. ولا يعرف عمار أسماء القتلى حيث أنهم ممن جلبهم تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى حارة البدو من مناطق أخرى.

وفي يوم الأربعاء 16 أغسطس/آب 2017، أي بعد ذلك بيضعة أسابيع، قُتل مريت ابن عمار أميرو في ضربة جوية استهدفت مجموعة أخرى من الصناديق العمومية على بعد بضعة شوارع عندما ذهب لجلب الماء لأسرته. وقال عمار لمنظمة العفو الدولية:

جاءت طائرة واستهدفت الصناديق حيث كان حشد قد تجمع هناك. كان الحشد خليطاً من المدنيين وأفراد تنظيم "الدولة الإسلامية". لم يكن ماء البئر متاحاً كل يوم، وفي الأيام التي يكون متاحاً فيها لا يأتي إلا لساعتين في المرة الواحدة، من الثامنة إلى العاشرة صباحاً ثم مرة أخرى بين الثالثة والرابعة. ولهذا كان هناك زحام عند البئر. وعندما جئت إلى الموقع وحدث ابني مصاباً بشظية في كتفه. أخذته إلى المشفى العام وانتظرت ساعتين وهو ينزف حتى الموت. قالوا [أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية"] لنا إنه لا يوجد أطباء ولا أحد عنده خبرة.⁷⁴



عمال بناء يعيدون بناء منزل الفيض الذي دمرته غارة جوية لقوات التحالف في 12 تشرين الأول 2017. صورة لمنظمة العفو الدولية

⁷⁴ مقابلة مع عمار أميرو، الرقة، 11 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

الاتفاق الذي منح مقاتلي "الدولة الإسلامية" ممراً آمناً

"عندما سمعنا أن هناك وقفاً لإطلاق النار وأنه سيُسمح لنا بمغادرة الرقّة، ظننا أن هذا من أجلنا نحن المدنيين، ولكن عندما جاءت الحافلات أدركنا أنها من أجل داعش".

جميلة، وهي أم لابنين وكانت ممن حُوصروا في حارة البدو

كان من شأن القصف المكثف ليلة 11-12 أكتوبر/تشرين الأول أن يقنع أفراد تنظيم "الدولة الإسلامية" الباقين في حارة البدو، على ما يبدو، بتثبيت وقف إطلاق النار مع "قوات سوريا الديمقراطية"، وهو الاتفاق الذي انهار في اليوم السابق. وأبلغ السكان منظمة العفو الدولية بأن مقاتلي "الدولة الإسلامية" في حارة البدو أبلغوا المدنيين قرب الفجر يوم 12 أكتوبر/تشرين الأول بأن وقف إطلاق النار قائم وسيتمكن الجميع من مغادرة المدينة قريباً. وقد تبين أن هذا صحيح، فبعد ذلك بوقت قصير سمحت "قوات سوريا الديمقراطية" للجميع بمغادرة حارة البدو والرقّة. ونقلت كل مقاتلي "الدولة الإسلامية" الباقين، السوريون منهم والأجانب، وأسرههم من المدينة في حافلات.

وفي 14 أكتوبر/تشرين الأول، أصدر التحالف البيان التالي:

جّهزت قافلة من المركبات لمغادرة الرقّة في 14 أكتوبر [تشرين الأول] بموجب ترتيب توسط في إعداده مجلس الرقّة المدني وشيوخ القبائل العربية المحلية في 12 أكتوبر. وهدف هذا الترتيب هو الحد من الخسائر في أرواح المدنيين إلى أدنى حد، وهو يستبعد، على ما يبدو، إرهابيي داعش الأجانب، حيث يواصل الناس المحاصرون في المدينة الهرب من السقوط الوشيك لما يُسمّى بعاصمة داعش. ويخضع المغادرون للرقّة بموجب هذا الترتيب للتفتيش والفحص على أيدي "قوات سوريا الديمقراطية". ولم يكن التحالف مشاركاً في المناقشات التي أفضت إلى هذا الترتيب لكنه يعتقد أنه سينقذ أرواحاً بريئة ويسمح "لقوات سوريا الديمقراطية" والتحالف بالتركيز على هزيمة إرهابيي داعش في الرقّة مع تقليل خطر وقوع خسائر بين المدنيين. نحن لا نقبل أي ترتيب يسمح لإرهابيي داعش بالفرار من الرقّة دون المثل أمام العدالة لكي يظهروا في مكان آخر...⁷⁵

وعنوان بيان التحالف وهو "مجلس الرقّة المدني وشيوخ القبائل يرتبون لإجلاء المدنيين لتقليل الخسائر في أرواح المدنيين" مضلل من أكثر من وجه. فهو لا يشير إلا إلى إجلاء المدنيين ولا يذكر المئات من مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" الذين كان تمتعهم بالحصانة من المساءلة وبمخرج آمن من الرقّة الشرط الأساسي لإجلاء المدنيين. ويقول

⁷⁵ "قوات المهام المشتركة/عملية العزم الصلب"، "مجلس الرقّة المدني وشيوخ القبائل يرتبون لإجلاء المدنيين لتقليل الخسائر في أرواح المدنيين"، 14 أكتوبر/تشرين الأول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/News-Releases/News-Article-View/Article/1342879/raqqah-civil-council-and-tribal-elders-arrange-civilian-evacuation-to-reduce-ci/>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

البيان: "ويخضع المغادرون للرقعة بموجب هذا الترتيب للتفتيش والفحص على أيدي "قوات سوريا الديمقراطية"، لكنه لا يذكر أن مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" سُمح لهم بأخذ كميات ضخمة من الأسلحة معهم.⁷⁶

لقد قدم التحالف الاتفاق على أنه نتيجة مفاوضات بين "قوات سوريا الديمقراطية" وشيوخ القبائل المحلية، برغم أن ممثلين للتحالف كانوا حاضرين أثناء مناقشة الاتفاق، حسبما ورد.⁷⁷ ومن الصعب تصور إمكان إبرام الاتفاق دون موافقة التحالف، حيث إنه الطرف الوحيد الذي يملك قوة جوية فوق المدينة والمناطق المحيطة بها، وكان المرور الآمن لقافلة تنظيم "الدولة الإسلامية" يتوقف على موافقة التحالف على عدم مهاجمتها.

وفضلاً عن ذلك، أبلغ المدنيون الذين ظلوا محاصرين في حارة البدو حتى النهاية منظمة العفو الدولية بأن مقاتلي "الدولة الإسلامية" أجلوا قبل المدنيين. فقد قالت جميلة، وهي أم لابنين: "عندما سمعنا أن هناك وقفاً لإطلاق النار وأنه سيُسمح لنا بمغادرة الرقعة، ظننا أن هذا من أجلنا نحن المدنيين، ولكن عندما جاءت الحافلات أدركنا أنها من أجل داعش. وكان علينا أن نجد سبيلنا بأنفسنا إلى خارج المدينة. لم أستطع أن أصدق ذلك، لكننا كنا سعداء بالخروج بأي وسيلة."⁷⁸

وقالت مها، وهي طالبة عمرها 20 عاماً: "غادرنا المدينة أنا وشقيقتاي وشقيقي مع قافلة داعش. تبعنا ذيل القافلة لأننا لم نشأ أن نُصعِّع فرصة الخروج من المدينة. وعندما خرجنا من الرقعة ذهبنا في سبيلنا."⁷⁹

⁷⁶ انظر، "سر الرقعة القذر"، كوينتين سومرفيل وريام دالاتي، "بي بي سي" (هيئة الإذاعة البريطانية). [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: http://www.bbc.co.uk/news/resources/ids-sh/raqgas_dirty_secret

⁷⁷ وفقاً لقول الكولونيل رايان ديلون، المتحدث باسم "عملية العزم الصلب"، حسبما نُقل عنه في "سر الرقعة القذر"، كوينتين سومرفيل وريام دالاتي، بي بي سي. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: http://www.bbc.co.uk/news/resources/ids-sh/raqgas_dirty_secret

⁷⁸ مقابلة مع جميلة، الرقعة، 16 فبراير/شباط 2017.

⁷⁹ مقابلة مع مها، قرب الرقعة، 14 فبراير/شباط 2017.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقعة بسوريا



صورة من القمر الاصطناعي تظهر المنازل التي قتل فيها 16 فرداً من عائلة الفياض وجيرانهم بقصف بقوات التحالف في 12 تشرين الأول 2017، قبل وبعد الغارة

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

تقارير التحالف

أصدرت "قوات المهام المشتركة/عملية العزم الصلب" المعلومات التالية بخصوص الضربات الجوية "ضد إرهابيي تنظيم الدولة الإسلامية" في الرقة في 12 أكتوبر/تشرين الأول 2017، حيث أفادت بأنها نَقَدَتْ إجمالاً 29 ضربة في الرقة ذلك اليوم.

قرب الرقة، نُقِدَتْ 25 ضربة استهدفت تسع وحدات تكتيكية لتنظيم "الدولة الإسلامية"، وأسفرت عن القضاء على موقع قتالي، وتدمير مركزي اتصالات، وعشرة مواقع قتالية، ومركبة، وطريق إمداد لتنظيم "الدولة الإسلامية".⁸⁰

12 أكتوبر/تشرين الأول، قرب الرقة بسوريا، نُقِدَتْ أربع ضربات، أدت إلى تدمير ثلاثة خطوط اتصال لتنظيم "الدولة الإسلامية" وموقع قتالي.⁸¹

وقد نَقَدَتْ طائرات بريطانية اثنتين على الأقل من هذه الضربات. وأصدرت وزارة الدفاع البريطانية المعلومات التالية:

تواصل "قوات سوريا الديمقراطية"، بدعمها التحالف، تحقيق تقدم كبير نحو سقوط الرقة، وقد قامت حتى الآن بتطهير زهاء 90 بالمتة من المدينة. وقام سلاح الجو الملكي بدور حيوي في هذا، حيث ضرب 213 هدفاً في الرقة والمناطق المحيطة بها منذ بدء هجوم "قوات سوريا الديمقراطية". وشمل هذا قيام طائرتين من طراز "تورنيديو جي آر4" بتقديم الدعم الجوي الوثيق "لقوات سوريا الديمقراطية" في الرقة في 12 أكتوبر/تشرين الأول. واستُخِدِمَت قنبلة موجهة من طراز "بيفواي 4" في استهداف الطوابق العليا من مبنى كان قنّاص لداعش يطلق النار منه، وضرب سلاح ثان مبنى آخر كان الإرهابيون يخوضون منه قتالاً مع "قوات سوريا الديمقراطية".⁸²

ولم تصدر وزارة الدفاع الفرنسية أية معلومات بخصوص أنشطتها خلال الأسبوع الذي بدأ يوم 12 أكتوبر/تشرين الأول 2017.

⁸⁰ عملية العزم الصلب، "بيانات الغارات الجوية- أكتوبر/تشرين الأول 2017، بيان الغارات بتاريخ 13 أكتوبر/تشرين الأول 2017". [بالإنجليزية]. مُتَاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/Strike-Releases/>

⁸¹ المصدر السابق، بيان الغارات بتاريخ 14 أكتوبر/تشرين الأول 2017. [بالإنجليزية].

⁸² وزارة الدفاع البريطانية، "الغارات الجوية لسلاح الجو الملكي في العراق وسوريا: أكتوبر/تشرين الأول 2017". [بالإنجليزية]. مُتَاح على الرابط:

<https://www.gov.uk/government/publications/british-forces-air-strikes-in-iraq-monthly-list/october-2017>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

5. العملية العسكرية المشتركة للتحالف و"قوات سوريا الديمقراطية" في الرقة

سعت "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" لتقديم نفسها على أنها تحالف دولي يحظى بدعم واسع النطاق من دول ومؤسسات في شتى أنحاء العالم. وهي تطلق على نفسها صفة "التحالف العالمي"، وتدّعي أنها تضم 71 دولة وأربع منظمات حكومية دولية، وهي تحالف انتقائي يضم دولاً شديدة الاختلاف مثل بنما وبولندا، وأستراليا وأفغانستان.⁸³ ومن المرجح أن بعض أعضاء التحالف، ككتشاد أو النيجر مثلاً، لم يقدموا سوى دعم اسمي. لكن مشاركة أعضاء آخرين، ولاسيما الدول الأوروبية، كانت أعمق، برغم أن مدى هذه المشاركة ليس واضحاً دائماً.

ومع ذلك، فخلافاً للشعار الذي اتخذته تحالف "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، وهو "مهمة واحدة، دول كثيرة"، كان العمل العسكري الذي تُقَدِّم باسمه لانتزاع السيطرة على الرقة من تنظيم "الدولة الإسلامية" شأنًا عسكرياً أمريكياً في الأغلب الأعم. فطوال المعركة كان أركان الجيش الثالث الأمريكي يعملون كهيئة أركان لقيادة "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" في معسكر عريفجان في الكويت، وقاد الحملة الجنرال الأمريكي ستيفن تاونسند؛ ونشرت الولايات المتحدة قرابة ألفي جندي أمريكي في شمال شرق سوريا خاض كثير منهم عمليات قتالية مباشرة، وبوجه خاص عمليات إطلاق نيران المدفعية على الرقة من مواقع خارج المدينة.⁸⁴ وبالإضافة إلى ذلك، كان عدد أصغر من أفراد القوات الخاصة يعمل قرب خطوط الجبهة مع أفراد "قوات سوريا الديمقراطية".⁸⁵ كما نُشرت قوات خاصة بريطانية وفرنسية في المنطقة لكن بأعداد أصغر كثيراً.

⁸³ موقع "عملية العزم الصلب" على الإنترنت. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://theglobalcoalition.org/en/partners/>

⁸⁴ وفقاً لمسؤولين عسكريين كان في سوريا قرابة ألفي جندي أمريكي، برغم أن العدد الرسمي الذي حددته وزارة الدفاع لمستوى القوة هو 503 أفراد. وأفاد تقرير فصلي بشأن الأفراد "لمركز بيانات عدد أفراد الدفاع" بوجود زهاء 1700 جندي أمريكي في سوريا حتى 30 سبتمبر/أيلول، لكن مسؤولي وزارة الدفاع وصفوا ذلك التقرير بأنه "صورة في لحظة محددة لمستويات القوة التي تتغير باستمرار"، كما ورد في: "مع انتهاء القتال في الرقة، 400 من مشاة البحرية الأمريكية يغادرون سوريا"، "إي بي سي نيوز"، 30 نوفمبر/تشرين الثاني 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://abcnews.go.com/International/raqqa-fight-400-us-marines-leaving-syria/story?id=51489623>

⁸⁵ قال الكولونيل رايان ديلون، وهو متحدث باسم التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لمحاربة تنظيم "الدولة الإسلامية" في سوريا والعراق إن "قوات العمليات الخاصة التابعة للتحالف موجودة في الرقة وهي قريبة من الخطوط الأمامية". وأضاف ديلون أن الأمريكيين "لا يقتحمون أبواب الدور" وإنما "مهمتهم الأساسية هي تقديم المشورة للقوات الشريكة، برغم أنهم مخلولون الدفاع عن أنفسهم". كما ورد في: "الوجود بالأفراد في الموقع: قوات أمريكية خاصة في الرقة قرب الخط الأمامي للدولة الإسلامية"، "مليتياري تايمز"، 9 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:

<https://www.militarytimes.com/news/pentagon-congress/2017/06/09/boots-on-the-ground-elite-u-s-troops-are-in-raqqa-near-the-islamic-state-s-front-line/>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

ومن بين الأسلحة والقوات التي نشرتها الولايات المتحدة أنظمة مدفعية القذائف الصاروخية الخفيفة الحركة الخاصة بالقوات البرية والتي تطلق قذائف صاروخية عيار 227 مليمترًا تُوجّه باستخدام نظام تحديد المواقع العالمي (جي بي إس) ويمكن إطلاقها من مسافة 300 كيلومتر،⁸⁶ فضلاً عن المناء من مشاة البحرية من أفراد وحدتي حملات مشاة البحرية الحادية عشرة والرابعة والعشرين مزودين بمدافع ثقيلة من نوع "هوبترز" طراز م777⁸⁷ استخدموها في إطلاق وابل من قذائف المدفعية عيار 155 مليمترًا على المدينة من مسافة تقرب من 30 كيلومترًا.⁸⁸ وكانت القوات المسلحة الأمريكية هي الشريك الوحيد في التحالف الذي يملك قدرة مدفعية خلال معركة الرقّة، وكانت بالتالي مسؤولة عن جميع الضربات المدفعية التي وُجّهت إلى المدينة.

وبرغم أن التحالف يضم ما يزيد على 70 دولة، فقد كانت الدول الوحيدة التي نفّذت ضربات جوية في الرقّة ومحيطها هي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا. ونفّذ التحالف عشرات الآلاف من الضربات في الرقّة خلال الحملة العسكرية.⁸⁹ ومن بين هذه الضربات ما يزيد على أربعة آلاف ضربة جوية⁹⁰ نفّذتها كلها تقريباً القوات الأمريكية. ونفّذت

⁸⁶ "الولايات المتحدة تنشر أنظمة مدفعية طويلة المدى في جنوب سوريا للمرة الأولى"، "سي إن إن"، 13 يونيو/حزيران 2017. <https://edition.cnn.com/2017/06/13/politics/us-artillery-system-southern-syria/index.html>

⁸⁷ "وصول وحدة مدفعية جديدة من مشاة البحرية إلى سوريا قبيل هجوم الرقّة"، "مارين تايمز"، 16 مايو/أيار 2017. [بالإنجليزية].
مُتاح على الرابط: <https://www.marinecorpstimes.com/news/your-marine-corps/2017/05/16/new-marine-artillery-unit-arrives-in-syria-ahead-of-raqqa-offensive/>

⁸⁸ "قصف مشاة البحرية للرقّة بالمدفعية كان كئيفاً إلى درجة احتراق مدفعي هوبترز"، "مارين تايمز"، 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2017. [بالإنجليزية].
مُتاح على الرابط: <https://www.marinecorpstimes.com/flashpoints/2017/11/02/marine-artillery-barrage-of-raqqa-was-so-intense-two-howitzers-burned-out/>

وقد أظهرت الصور الواردة من سوريا مشاة البحرية الأمريكية وهم يستخدمون مجموعة صمام التفجير "إكس إم 1156" القليلة التكلفة، التي تحوّل القذائف الشديدة الانفجار العادية إلى قذائف تُوجّه بنظام تحديد المواقع (جي بي إس). والتقارير التي تفيد بأن القوات الأمريكية أطلقت مدفعية القذائف الصاروخية الخفيفة الحركة على الرقّة منشورة [بالإنجليزية]، ومُتاحة على الرابط:
<https://syria.liveuamap.com/en/2017/6-june-reports-that-ushimars-fired-6-rockets-towards-Raqqa>

⁸⁹ حسب منهجية "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، فقد نفّذت الضربات "المقاتلات أو طائرات الهجوم الأرضي أو القاذفات أو الطائرات ذات الأجنحة الدوارة أو الطائرات بلا طيار ومدفعية القذائف الصاروخية والمدفعية البرية التكتيكية" وتُعرّف بأنها "اشتباك حركي واحد أو أكثر يقع في نفس الموقع الجغرافي على وجه التقريب لإحداث أثر واحد، قد يكون تراكمياً في بعض الأحيان، في ذلك الموقع. فمثلاً، قيام طائرة واحدة بإطلاق سلاح واحد على مركبة واحدة لتنظيم "الدولة الإسلامية" هو ضربة واحدة، لكن قيام طائرات متعددة بإطلاق عشرات الأسلحة على مجموعة من المباني التي يسيطر عليها تنظيم "الدولة الإسلامية" وأنظمة أسلحتها في مجمع هو ضربة واحدة كذلك". انظر: "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، "بيان بشأن الضربات من 1 إلى 11 ديسمبر/كانون الأول 2017"، 11 ديسمبر/كانون الأول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:
<http://www.inherentresolve.mil/Portals/14/12Dec2017/20171211%20Strike%20Release.pdf?ver=2017-12-11-033135-847>

⁹⁰ وفقاً لتقديرات منظمة "إيروورز" التي وضعتها استناداً إلى إحصاءات الطلعات الجوية والذخائر التي تقدمها القيادة المركزية للقوات الجوية الأمريكية، انظر على سبيل المثال، "ما زالوا ينتشلون الجثث من عاصمة "الدولة الإسلامية"، صامويل أوكفورد في: صحيفة "ديلي بيست"، 12 مارس/آذار 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.thedailybeast.com/theyre-still-pulling-bodies-out-of-isis-capital?ref=author>

والرابط: <http://www.afcent.af.mil/Portals/82/Documents/Airpower%20summary/Airpower%20Summary%20-%20October%202017.pdf?ver=2017-11-21-034338-127>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

القوات البريطانية زهاء 215 ضربة جوية،⁹¹ وكانت القوات الفرنسية مسؤولة عن قرابة 50 ضربة جوية،⁹² بينما نَقَدَت الطائرات الأمريكية، سواء الطائرات العادية أو تلك التي تُوجَّهُ دون طيار، الأغلبية الساحقة أو ما يزيد على 90 بالمئة من الضربات الجوية. وليس لدى منظمة العفو الدولية علم بقيام أية دولة أخرى من الدول الأعضاء في التحالف بتنفيذ ضربات جوية في الرقّة. وفي الوقت نفسه، أطلق مشاة البحرية الأمريكية عشرات الآلاف من قذائف المدفعية على الرقّة والمناطق المحيطة بها.

ووقّرت "قوات سوريا الديمقراطية" القوات البرية اللازمة لدخول المدينة سيراً على الأقدام. وكان جنودها مسلحين بالبنادق الآلية والقذائف الصاروخية ومدافع الهاون عيار 120 ملمتراً التي زودتهم بها الولايات المتحدة.⁹³ وليس لديهم أية قوة جوية، وليس لدى المنظمة علم بأنه كان لديهم أية قدرات مدفعية خلال عملية الرقّة العسكرية. وقد عملت قوات التحالف في أغلب الحالات من مواقع على بعد عدة كيلومترات خارج المدينة، لكن عدداً صغيراً من أفراد قوات العمليات الخاصة من الدول الأعضاء في التحالف، وخصوصاً الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا، عملوا مع "قوات سوريا الديمقراطية" قرب مواقع الخطوط الأمامية في المدينة وحولها، وكان دورهم في أغلب الحالات استشارياً وليس قتالياً، حسبما ورد.⁹⁴

وكانت "قوات سوريا الديمقراطية" مسؤولة عن بعض عمليات رصد الأهداف لضربات التحالف الجوية والمدفعية. وليس من الواضح النسبة المئوية لضربات التحالف الجوية والمدفعية التي نُقَدَت استناداً إلى بيانات إحصائية قدمتها "قوات سوريا الديمقراطية" بالمقارنة مع الضربات التي وُجِّهت إلى أهداف حدّتها قوات التحالف بنفسها من خلال الاستطلاع

الرابط: <http://www.afcent.af.mil/Portals/82/Documents/Airpower%20summary/Airpower%20Summary%20-%20August%202017.pdf?ver=2017-09-07-104037-223>

⁹¹ المعلومات الخاصة بالضربات الجوية التي نَقَدَتها القوات البريطانية نشرتها وزارة الدفاع البريطانية. [بالإنجليزية]. مُتاحة على الرابط: <https://www.gov.uk/government/publications/british-forces-air-strikes-in-iraq-monthly-list>

⁹² المعلومات الخاصة بالضربات الجوية التي نَقَدَتها القوات الفرنسية نشرتها وزارة القوات المسلحة الفرنسية. [بالفرنسية]. مُتاحة على الرابط: <https://www.facebook.com/notes/arm%3%A9e-fran%3%A7aise-op%3%A9rations-militaires/point-de-situation-des-op%3%A9rations/1434337239945330/>

⁹³ رأى باحثو منظمة العفو الدولية العديد من شظايا قذائف الهاون الأمريكية عيار 120 ملمتراً التي استخدمتها "قوات سوريا الديمقراطية" في شتى أنحاء الرقّة. وأكد أعضاء في "قوات سوريا الديمقراطية" للمنظمة أنهم كانوا يستخدمون مدافع هاون زودتهم الولايات المتحدة بأغلبها. انظر كذلك: "مازالوا ينتشلون الجثث من عاصمة "الدولة الإسلامية" لباحث منظمة "إيروورز" صامويل أوكفورد، 12 مارس/آذار 2018، صحيفة "ديلي بيست". [بالإنجليزية]. مُتاحة على الرابط: <https://www.thedailybeast.com/theyre-still-pulling-bodies-out-of-isis-capital?ref=author>

⁹⁴ قال الكولونيل رايان ديبلون، وهو متحدث باسم التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لمحاربة تنظيم "الدولة الإسلامية" في سوريا والعراق، إن "قوات العمليات الخاصة التابعة للتحالف موجودة في الرقّة وهي قريبة من الخطوط الأمامية"، كما ورد في: "الوجود بالأفراد في الموقع: قوات أمريكية خاصة في الرقّة قرب الخط الأمامي للدولة الإسلامية"، مجلة "مليتاري تايمز"، 9 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاحة على الرابط: <https://www.militarytimes.com/news/pentagon-congress/2017/06/09/boots-on-the-ground-elite-u-s-troops-are-in-raqqa-near-the-islamic-state-s-front-line/>

"من المفهوم أن جنود القوات الجوية الخاصة الذين يعملون مع "قوات سوريا الديمقراطية" في شمال سوريا موجودون في الموقع للقيام بدور داعم"، كما ورد في: "القوات الجوية الخاصة تساعد في شنّ هجوم عند الفجر في المعركة الأخيرة للسيطرة على الرقّة"، "صحيفة التايمز"، 7 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاحة على الرابط: <https://www.thetimes.co.uk/article/sas-help-launch-dawn-assault-as-final-push-on-raqqa-begins-9fg5fz385>

"سوريا: سيلفي غولار تؤكد وجود القوات الخاصة الفرنسية"، "يوروب 1"، 26 مايو/أيار 2017. [بالفرنسية] مُتاحة على الرابط: <http://www.europe1.fr/politique/sylvie-goulard-nous-avons-des-forces-speciales-en-syrie-3341933>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

الجوي أو وسائل أخرى، وكذلك مدى تحقق قوات التحالف من الأهداف التي حددتها "قوات سوريا الديمقراطية" قبل توجيه الضربات إلى تلك الأهداف.



قنبلة من نوع MK82 غير منفجرة، اسقطها التحالف في شارع بوسط الرقة. بعد أشهر على استعادة الرقة لا تزال الذخائر غير المنفجرة منتشرة في الرقة في أماكن تشكل خطراً على المدنيين وحيث بالإمكان إزالتها بسهولة. صورة لمنظمة العفو الدولية



قنبلة غير منفجرة من طراز MK 82 أسقطتها قوات التحالف، والتي تم التلاعب بها من قبل داعش وتحولت إلى عبوة ناسفة كبيرة، محاطة بستة قذائف هاون أنتجتها داعش. © منظمة العفو الدولية

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

الأسلحة الأساسية التي استخدمها الطرفان المتحاربان في الرقّة

القنابل من طراز "إم كي 82 وإم كي 84"

بلد الصنع: الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا
جهة الاستخدام: الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا
الوزن المتفجر الصافي: 199,5 ليبرة (90 كيلوغراماً) / 992 ليبرة (450 كيلوغراماً) 95
المسافة الآمنة الدنيا: 584 متراً / 997 متراً 96
ويمكن تزويد القنابل المعيارية من طراز "إم كي 82، 500 ليبرة" وطراز "إم كي 84، 2000 ليبرة" بمجموعة التجهيزات "بيفواي 4/2" لتصبح قنابل موجهة بالليزر، أو بمجموعة التجهيزات "جيه دي إيه إم" الخاصة بالذيل لتصبح أسلحة موجهة باستخدام نظام تحديد المواقع العالمي (جي بي إس). ويكون هامش الخطأ المحتمل في إصابة الهدف للنوعين من القنابل عندئذ محصوراً في دائرة يقل نصف قطرها عن خمسة أمتار.⁹⁷

الصواريخ الموجهة طراز "إيه جي إم-114 هلفاير"

بلد الصنع: الولايات المتحدة الأمريكية
جهة الاستخدام: الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة
الوزن المتفجر الصافي: عشرة كيلوغرامات
المسافة الآمنة الدنيا: 280 متراً
هذه الصواريخ الموجهة هي السلاح المعياري للطائرات بدون طيار من طرازي "إم كيو-1 برديتور" و"إم كيو-9 ريبتر"

القذائف المدفعية طراز "إم 795" عيار 155 ملم

بلد الصنع: الولايات المتحدة الأمريكية
جهة الاستخدام: الولايات المتحدة الأمريكية
الوزن المتفجر الصافي: 14.3 كيلوغرام
المسافة الآمنة الدنيا: 316 متراً
استخدمت الولايات المتحدة الأمريكية مدافع "هويتزر" من طراز "إم 777" في إطلاق جميع قذائف المدفعية التي استخدمت في قصف الرقّة، وكان أغلبها قذائف شديدة الانفجار غير موجهة من طراز "إم 795" يزيد هامش الخطأ في إصابة الهدف بها عن 100 متر. وقد رُوّدت بعض القذائف من هذا الطراز بمجموعة تجهيزات التوجيه الدقيق (بي جي كي) التي تقلل هامش الخطأ في إصابة الهدف إلى 10 أمتار، لكن تكلفتها تبلغ ثمانية آلاف دولار أمريكي للمجموعة الواحدة، أي عشرة أضعاف تكلفة صمام تفجير القذيفة المعياري، ولهذا لم يشتر الجيش أو سلاح مشاة

⁹⁵ كل الأوزان المتفجرة الصافية للذخائر، ما عدا ما يُشار إليه بغير ذلك. مُتاحة في موقع "أوردانا إنفو"، وهو مشروع "المركز الاستقرار والإنعاش الدولي" بجامعة جيمس ماديسون. [بالإنجليزية].

⁹⁶ المسافة الآمنة الدنيا تُحسب بناء على الوزن المتفجر الصافي للذخيرة المعنية ومعامل ثابت هو 328، أما معيار "المسافة الآمنة المطلقة" الذي تستخدمه وزارة الدفاع الأمريكية فمُنشور [بالإنجليزية]، ومُتاح على الرابط:

<https://www.dau.mil/cop/ammo/DAU%20Sponsored%20Documents/K%20Factor.pptx>

⁹⁷ لمزيد من المعلومات عن مجموعة التجهيزات "جيه دي إيه إم"، انظر [بالإنجليزية]: <http://www.af.mil/About-Us/Fact-Sheets/Display/Article/104572/joint-direct-attack-munition-gbu-313238/>

وبخصوص مجموعة التجهيزات "بيفواي"، انظر [بالإنجليزية]:

<https://www.globalsecurity.org/military/systems/munitions/gbu-12.htm>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

البحرية الأمريكية سوى القليل نسبياً من هذه المجموعات، ومثلت نسبة مئوية صغيرة من الأسلحة التي استُخدمت.⁹⁸

قذائف الهاون من طراز "إم934" عيار 120 مليمترًا

بلد الصنع: الولايات المتحدة الأمريكية
جهة الاستخدام: "قوات سوريا الديمقراطية"
الوزن المتفجر الصافي: 3 كيلوغرامات
المسافة الأمانة الدنيا 190 متراً
هذه الأسلحة هي قذائف الهاون المعيارية عيار 120 مليمترًا الخاصة بالقوات المسلحة الأمريكية، ويبلغ مداها أربعة أميال تقريباً، وقد زوّدت بها "قوات سوريا الديمقراطية" لاستخداماتها.⁹⁹ ويمكن تمييزها بعبوات تفجير الإطلاق من طراز "إم1020" في ذيلها وهذه لا تتحطم في التفجير.

قذائف الهاون عيار 220 مليمترًا

جهة التصنيع: تنظيم "الدولة الإسلامية"
جهة الاستخدام: تنظيم "الدولة الإسلامية"
الوزن المتفجر الصافي: قرابة 9 كيلوغرامات
المسافة الأمانة الدنيا: 270 متراً

قام تنظيم "الدولة الإسلامية" بتصميم هذه القذائف وتصنيعها في مصانع في شتى أنحاء المناطق التي يسيطر عليها. وهي تُملأ في أغلب الحالات بمتفجرات مُرتجلة الصنع باستخدام مكونات أساسية مستوردة من تركيا.¹⁰⁰

وبالإضافة إلى الذخائر التي سبق ذكرها، تعرّف باحثو منظمة العفو الدولية على مجموعة متنوعة من الأسلحة الصغيرة وغيرها من الأسلحة استخدمها الطرفان المتحاربان في الرقّة، ومن بينها صواريخ "إم 79 أوزا"؛ وبنادق "إم60" عديمة الارتداد، وهي تطلق مقذوفات شديدة الانفجار مضادة للدبابات؛ وقذائف هاون "إم74" عيار 120 مليمترًا، وكل هذه الأسلحة يوغوسلافية الصنع؛ وألغام مضادة للدبابات من طراز "تي إم-62"؛ وقذائف هاون "إف-853 يو" عيار 160 مليمترًا؛ وقذائف مدفعية عيار 122 مليمترًا، وكلها أسلحة سوفيتية الصنع؛ وقذائف هاون عيار 81 مليمترًا وعيار 60 مليمترًا؛ وقذائف صاروخية "بي جي-7" و"بي جي-9"؛ وبنادق آلية على نمط "إيه كي" من عدة بلدان.

⁹⁸ للاطلاع على تحليل للتكلفة لكل صمام تفجير والأعداد التي اشترتها وزارة الدفاع، انظر [بالإنجليزية]:

<https://www.nytimes.com/2018/05/01/magazine/army-artillery-budget-howitzer.html>

⁹⁹ انظر [بالإنجليزية]: <https://www.globalsecurity.org/military/systems/ground/m120-specs.htm>

¹⁰⁰ وفقاً لمحادثة مع داميان سبليترز، رئيس العمليات الإقليمية في العراق وسوريا في مؤسسة "بحوث أسلحة الصراع". وقد وثّقت المؤسسة وجود قذائف الهاون نفسها الخاصة بتنظيم "الدولة الإسلامية" في تلعفر والقائم، والاستخدام الواسع النطاق للمكونات الأساسية التركية في الأسلحة التي يُصنّعها تنظيم "الدولة الإسلامية" في شتى أنحاء المناطق التي يسيطر عليها.

انظر [بالإنجليزية]: www.conflictarm.com/download-file/?report_id=2568&file_id=2574

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

6. ردود التحالف على بواعث القلق بشأن الخسائر في صفوف المدنيين

"نحن الصالحون، والأبرياء في ساحة القتال يعرفون الفرق."¹⁰¹

جيمس ماتيس، وزير الدفاع الأمريكي

أحجم المسؤولون الذين يمثلون "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" التي تقودها الولايات المتحدة باستمرار عن الاعتراف بمدى الأضرار الإنسانية والمادية التي لحقت بالسكان المدنيين في الرقة من جراء الهجمات الجوية والمدفعية التي شنتها قوات التحالف، وكذلك فعل رؤساؤهم المدنيون. بل على العكس، فقد رفض مسؤولو التحالف بشكل متكرر أنباء الخسائر في الأرواح بين المدنيين على أنها بلا أساس. وقد طلبت منظمة العفو الدولية من "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" معلومات تفصيلية بخصوص الضربات المذكورة بالتفصيل في التقرير الحالي، وبخصوص جميع الضربات التي نفذتها قوات التحالف، بما في ذلك التواريخ المحددة والمواقع والذخيرة المستخدمة، وبخصوص أية تحقيقات أجريت حتى الآن. ولم تتلق المنظمة أي رد حتى وقت كتابة هذا التقرير.

¹⁰¹ قال الكولونيل رايان ديون، وهو متحدث باسم التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لمحاربة تنظيم "الدولة الإسلامية" في سوريا والعراق، إن "قوات العمليات الخاصة التابعة للتحالف موجودة في الرقة وهي قريبة من الخطوط الأمامية"، كما ورد في: "الوجود بالأفراد في الموقع: قوات أمريكية خاصة في الرقة قرب الخط الأمامي للدولة الإسلامية"، مجلة "مليتاري تايمز"، 9 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.militarytimes.com/news/pentagon-congress/2017/06/09/boots-on-the-ground-elite-u-s-troops-are-in-raqqa-near-the-islamic-state-s-front-line/>

"من المفهوم أن جنود القوات الجوية الخاصة الذين يعملون مع "قوات سوريا الديمقراطية" في شمال سوريا موجودون في الموقع للقيام بدور داعم"، كما ورد في: "القوات الجوية الخاصة تساعد في شنّ هجوم عند الفجر في المعركة الأخيرة للسيطرة على الرقة"، صحيفة "النايمز"، 7 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.thetimes.co.uk/article/sas-help-launch-dawn-assault-as-final-push-on-raqqa-begins-9fg5fz385>

"سوريا": سيلفي غولار تؤكد وجود القوات الخاصة الفرنسية، "يورب 1"، 26 مايو/أيار 2017. [بالفرنسية]. مُتاح على الرابط: <http://www.europe1.fr/politique/sylvie-goulard-nous-avons-des-forces-speciales-en-syrie-3341933>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

وفي 28 مايو/أيار 2017، أي قبل بدء هجوم التحالف في الرقة بتسعة أيام، ظهر وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس في التلفزيون الوطني في الولايات المتحدة ودعا إلى "حرب إبادة" ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"¹⁰² وعندما سُئل بشأن خسائر المدنيين، ردّ قائلاً: "الخسائر في الأرواح بين المدنيين من حقائق الحياة في مثل هذا الوضع... ونحن نقوم بكل ما هو ممكن إنسانياً ويتفق مع الضرورة العسكرية، ونقوم بكثير من المجازفات لتفادي خسائر المدنيين بأي تكلفة."¹⁰³ وبعد 11 يوماً من إدلائه بهذا التصريح، أطلقت القوات الأمريكية ذخائر الفوسفور الأبيض على مفرق الجزيرة وكانت المعركة دائرة.¹⁰⁴



حي سكني مدمر في الرقة، صورة لمنظمة العفو الدولية

وكما ذكر أنغاً، فقد عرض تقرير منظمة العفو الدولية، الصادر في أغسطس/آب 2017، بواعث قلقها بخصوص سقوط قتلى وجرحى في صفوف المدنيين جراء هجمات التحالف التي كانت فيما يبدو غير متناسبة أو عشوائية، وخصوصاً الهجمات المدفعية، في وقت كانت العملية العسكرية ما زالت فيه جارية.¹⁰⁵ ورفض مسؤول في التحالف بواعث القلق التي طرحتها المنظمة و"مستشار الأمم المتحدة الخاص بشأن سوريا" الذي دعا إلى توقف العمليات مؤقتاً للسماح

¹⁰² "الحرب على تنظيم "الدولة الإسلامية" تتحول إلى استخدام أساليب الإبادة"، كاثيرون واتسون، "سي بي إس نيوز"، 28 مايو/أيار 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.cbsnews.com/news/fight-against-isis-has-shifted-to-annihilation-tactics-mattis-says/>

¹⁰³ وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس، كما نُقلَ عنه في "وزير الدفاع ماتيس يقول إن سياسة الولايات المتحدة ضد الدولة الإسلامية هي الآن 'الإبادة'"، صحيفة "الغارديان"، 28 مايو/أيار 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.theguardian.com/us-news/2017/may/28/james-mattis-defense-secretary-us-isis-annihilation>

¹⁰⁴ منظمة العفو الدولية، بيان صحفي، 16 يونيو/حزيران 2017. مُتاح على الرابط: <https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2017/06/syria-expert-analysis-shows-usled-coalition-use-of-white-phosphorus-may-amount-to-war-crime>

¹⁰⁵ منظمة العفو الدولية، "سوريا: لن أنسى هذه المذبحة": مدنيون محاصرون في معركة الرقة، 24 أغسطس/آب 2017. مُتاح على الرابط: <https://www.amnesty.org/ar/documents/mde24/6945/2017/ar>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

للمدنيين بالخروج من المدينة.¹⁰⁶ وأقر قائد قوات التحالف، الجنرال ستيفن تاونسند، بأنه بعد تصاعد في الهجمات "من المنطقي افتراض وجود زيادة في الخسائر في أرواح المدنيين"، لكنه واصل حديثه مشككاً في النتائج التي توصلت إليها منظمة العفو الدولية قائلاً "أود أن أطلب من شخص ما أن يريني معلومات مؤكدة."¹⁰⁷ واستطرد قائلاً: "أعتقد أننا حريصون كما ينبغي أن نكون وكما يمكننا أن نكون، وإنني لأتحدى الشخص من الأمم المتحدة الذي أدلى بهذا التصريح المغرق في المبالغة بأن الخسائر في الأرواح بين المدنيين مذهلة. أرني دليلاً ما على ذلك."¹⁰⁸ أما وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس فكان رده الوحيد: "نحن الصالحون، والأبرياء في ساحة القتال يعرفون الفرق."¹⁰⁹

وفي وقت لاحق، وبينما كان الصراع في الرقة في ذروته في سبتمبر/أيلول، كتب الجنرال ستيفن تاونسند "... لم يحدث مطلقاً أن كانت هناك حملة جوية أكثر دقة [من الحملة الحالية] في تاريخ النزاع المسلح"¹¹⁰ مكرراً زعماً سبق أن أدلى به في بداية حملة الرقة.¹¹¹ ومضى زاعماً أن أنباء الخسائر في صفوف المدنيين "... لا تؤيدها الحقيقة في أغلب الأحيان وليس من شأنها سوى أن تقوي قبضة تنظيم "الدولة الإسلامية" على المدنيين، ومن ثم تعريض المدنيين لمزيد من الخطر... منتقدونا غير قادرين على إجراء التقييم التفصيلي الذي يجريه التحالف. ويمكن القول إنهم يعتمدون في أغلب الأحوال على معلومات قليلة للغاية يتلقونها هاتفياً أو تنشرها مصادر مشكوك فيها على الإنترنت."¹¹²

ولم يؤد تغيير القيادة إلى تغيير المواقف على ما يبدو. ففي سبتمبر/أيلول 2017 حل الجنرال بول إي فانك الثاني محل الجنرال ستيفن تاونسند قائداً لقوات التحالف. وقد دافع الجنرال فانك الثاني أيضاً، في مقابلة أجريت معه في ديسمبر/كانون الأول 2017، عن دقة الحملة الجوية، زاعماً أن قوات التحالف تأخذ "خطوات هائلة" لمنع وقوع خسائر في الأرواح بين المدنيين. واستطرد الجنرال لانماً مقاتلي "الدولة الإسلامية" على الاختباء بين المدنيين قائلاً "عندما

¹⁰⁶ "المستشار الخاص لمبعوث الأمم المتحدة لسوريا يقول: 'لا يوجد مكان على الأرض أسوأ من الرقة بسوريا'، ويدعو إلى وقف مؤقت للقتال"، "أخبار الأمم المتحدة"، 24 أغسطس/آب 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://news.un.org/en/story/2017/08/563802-no-worse-place-earth-syrias-raqqa-says-senior-un-adviser-urging-pause-fighting>

¹⁰⁷ كما نقلت عنه قناة الجزيرة في: "منظمة العفو: المدنيون في الرقة عرضة للنيران 'من كل الجوانب'"، 24 أغسطس/آب 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.aljazeera.com/news/2017/08/civilians-raqqa-fire-sides-amnesty-170824004428242.html>

¹⁰⁸ الجنرال ستيفن تاونسند قائد "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، كما نُقل عنه في: "حرب سوريا: لماذا الفوز في معركة الرقة بعيد"، "بي بي سي"، 30 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.bbc.com/news/world-middle-east-40451093>

¹⁰⁹ المصدر السابق.

¹¹⁰ "أنباء الخسائر البشرية في صفوف المدنيين في الحرب على تنظيم "الدولة الإسلامية" مبالغ فيها بشدة"، مجلة "فورين بوليسي"، 15 سبتمبر/أيلول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://foreignpolicy.com/2017/09/15/reports-of-civilian-casualties-from-coalition-strikes-on-isis-are-vastly-inflated-It-gen-townsend-cjtf-oir/>

¹¹¹ "أتحدى أي شخص أن يجد حملة أكثر دقة وحرصاً في تاريخ العمليات الحربية على هذا الكوكب"، الجنرال ستيفن تاونسند قائد قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب متحدثاً إلى "بي بي سي"، 30 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.bbc.com/news/world-middle-east-40451093>

¹¹² أنباء الخسائر البشرية في صفوف المدنيين في الحرب على تنظيم "الدولة الإسلامية" مبالغ فيها بشدة"، مجلة "فورين بوليسي"، 15 سبتمبر/أيلول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://foreignpolicy.com/2017/09/15/reports-of-civilian-casualties-from-coalition-strikes-on-isis-are-vastly-inflated-It-gen-townsend-cjtf-oir/>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

يستخدم العدو المدنيين دروعاً بشرية يكون من الصعب إلى حد لا يُصدّق عدم وقوع خسائر في الأرواح بين المدنيين. إجراءاتنا سليمة،" ¹¹³

ومن ناحية أخرى، استمرت الحكومة البريطانية في إنكار واقع القيام بضربات جوية في مناطق حضرية مأهولة. ¹¹⁴ ففي 8 يناير/كانون الثاني 2018، ردّت وزارة الدفاع على سؤال من أحد أعضاء البرلمان بشأن "عدد المدنيين الذين قُتلوا أو جرحوا في سوريا نتيجة للضربات الجوية للمملكة المتحدة" قائلة:

عند تنفيذ ضربات جوية، يقوم المحللون الخبراء بشكل معتاد بفحص البيانات الخاصة بكل ضربة تقوم بها المملكة المتحدة لتقييم أثرها... ونحن نتعاون تعاوناً كاملاً مع المنظمات غير الحكومية مثل "إيروورز" التي تقدّم ما تجمعه من أدلة على الخسائر بين المدنيين. وبعد عمل تفصيلي فيما يتعلق بكل حالة، أمكننا استبعاد ضلوع سلاح الجو الملكي في وقوع أي خسائر بين المدنيين نتيجة لأي من الضربات التي وُجّه نظرنا إليها. ¹¹⁵

ولا تعترف تلك التصريحات بأن المنهج الذي يتبعه التحالف في إجراء التحقيقات هو المعيب، لأنه لا يتضمن زيارات للمواقع التي يُزعم وقوع ضربات فيها، ولا إجراء مقابلات مع شهود العيان أو الناجين وأسرههم. وبرغم أن تقارير "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" الشهرية بخصوص الخسائر في الأرواح أصبحت تحوي، بدءاً من نهاية سبتمبر/أيلول 2017، عبارات تشير إلى تحسن في منهج إجراء التحقيقات بإضافة "زيارات المواقع ومقابلات مع شهود العيان متى كان ذلك ممكناً"، ¹¹⁶ فلا يبدو أن مثل هذه البنود كانت تُنقذ حتى ذلك الحين. وتُعد زيارات المواقع عنصراً حاسماً في التحقيقات، حيث إنها تتيح الفرصة لفحص تأثير الذخيرة ونمط الدمار في الموقع المعني والمناطق المحيطة به، وملاحظة شظايا الذخيرة وغيرها من المواد التي يمكن أن تساهم في فهم حركة الأحداث في وقت الضربة. أما المقابلات مع الناجين وشهود العيان وأقارب الضحايا، فهي حاسمة بالقدر نفسه لفهم الأحداث التي سبقت وقوع الضربات والتي وقعت خلالها، وعلاوة على ذلك، يكون القيام بزيارات المواقع ضرورياً كوسيلة عملية لاكتشاف المعلومات بشأن الضربات التي يُحتمل ألا يكون التحالف قد نُبّه إليها لأن وسائل الإعلام أو غيرها من المصادر لم تتناولها.

¹¹³ الجنرال بول إي فانك الثاني، كما نُقل عنه في: "جنرال فورت هود الذي يقود القتال ضد تنظيم "الدولة الإسلامية" يقول إن الخلافة هُزمت في العراق"، "ستيتسمان"، 28 ديسمبر/كانون الأول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.statesman.com/news/local-military/fort-hood-general-leading-isis-fight-says-caliphate-defeated-iraq/OBA9pIVKjsXqYPz9bEYnzK/>

¹¹⁴ لبريطانيا تاريخ طويل من إنكار التسبب في مقتل مدنيين بضرباتها الجوية ضد ما يسمى تنظيم "الدولة الإسلامية". ففي عام 2016، أصدرت معلومات، بعد طلب بموجب قانون حرية المعلومات، زاعمةً أنها قتلت ما يقرب من ألف من مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" في العراق وفي سوريا في ألف ضربة نُقّدت في الفترة ما بين سبتمبر/أيلول 2014 ومارس/آذار 2016 ولم تقتل مدنياً واحداً. انظر، صحيفة "إندبندنت" [بالإنجليزية]: <https://www.independent.co.uk/news/uk/home-news/iraq-syria-air-strikes-civilians-casualties-killed-isis-daesh-islamic-state-air-wars-a7008276.html>

¹¹⁵ "سوريا: التدخل العسكري: سؤال مكتوب - 120695"، "موقع برلمان المملكة المتحدة" على الإنترنت. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.parliament.uk/business/publications/written-questions-answers-statements/written-question/Commons/2017-12-20/120695/>

وفي 2 مايو/أيار اعترفت حكومة المملكة المتحدة للمرة الأولى بأن إحدى الضربات الجوية التي نُقّدت في مارس/آذار 2018 في سوريا أدت إلى وفاة مدني واحد. انظر، "حرب سوريا: وزارة الدفاع تقرُّ بوفاة مدني في ضربة وجّهها سلاح الجو الملكي إلى تنظيم "الدولة الإسلامية""، "بي بي سي"، 2 مايو/أيار 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.bbc.co.uk/news/uk-43977394>

¹¹⁶ "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، "التقرير الشهري بشأن الخسائر في أرواح المدنيين"، 29 سبتمبر/أيلول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/News-Releases/News-Article-View/Article/1329201/cjtf-oir-monthly-civilian-casualty-report/>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

ويعتمد التحالف على اختبار "رجحان الدليل" في تحديد ما إذا كان ادعاء ما بأنه ألحق الأذى بمدني موثقاً أم لا.¹¹⁷ ويضع التحالف أغلب الادعاءات عن تسببه في مقتل وإصابة مدنيين في قائمة الادعاءات "غير الموثوقة". فعلى سبيل، نشرت "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" منذ بداية عام 2018 نتائج 452 "مراجعة للحقائق والظروف" فيما يخص ادعاءات بأنها تسببت في مقتل وإصابة مدنيين أغلبها يرجع إلى عام 2017.¹¹⁸ ومن بين هذه الحالات لم تُعتبر سوى 19 حالة "موثوقة".¹¹⁹ واعتُبرت الحالات الباقية، وهي 433 حالة، "غير موثوقة"،¹²⁰ أي بنسبة 95,62 بالمئة من الحالات. وتشير النسبة الضئيلة للادعاءات الموثوقة إلى احتمال رفض بعض الادعاءات، وربما كثير منها، قبل بذل كل الجهود اللازمة للتحقيق فيها. وقد يؤدي سوء إحصاء الخسائر في الأرواح في صفوف المدنيين إلى سوء تقدير الأذى الذي يُحتمل أن يلحق بالمدنيين في عمليات التحالف في المستقبل، حيث إن إجراءات تقليل الخسائر في أرواح المدنيين تقتضي أن تتعلم الوحدات العسكرية من تقديراتها للخسائر في أرواح المدنيين وأن تُدمج ما تعلمته في التخطيط للعمليات في المستقبل.¹²¹

وقد زار مندوبو منظمة العفو الدولية، خلال التقصي الميداني الذي قامت به في الرقّة، عشرات من مواقع ضربات التحالف في كل حي من أحياء المدينة وتحدثوا مع ما يزيد على 100 من السكان الذين نجوا من ضربات التحالف أو شاهدوها. ولم يقابل محققو قوات التحالف أيّاً منهم أو يتصلوا به، سواء في الرقّة أو أثناء وجودهم في مخيمات النازحين قبل عودتهم إلى المدينة، ولم يكن أي منهم يعلم بقيام أي من محققي التحالف بزيارة أي موقع من مواقع الضربات في أي مكان في المدينة أو بمقابلة ناجين من ضربات أخرى أو شهود عليها. وكانت أوجه القصور من هذا القبيل في منهج التحقيق عاملاً مهماً ساهم، على ما يبدو، في رفض جميع الأنباء تقريباً الخاصة بسقوط قتلى وجرحى بين المدنيين.¹²²

¹¹⁷ الميجر شين هاف، الصابط بالقوات الجوية الأمريكية، بصفته ضابط العمليات الإعلامية في إدارة الاتصالات والاستفسارات بالقيادة الوسطى الأمريكية، في رسالة بالبريد الإلكتروني عنوانها "الاستفسار المتعلق بتحقيقات وزارة الدفاع في مزاعم الإضرار بالمدنيين في العراق"، 2 نوفمبر/تشرين الثاني 2016. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:
<https://www.documentcloud.org/documents/4416019-Assessments.html>

"العواقب القانونية لقصور عمليات تقييم الخسائر في أرواح المدنيين لدى البنتاغون"، رايان غودمان، 26 إبريل/نيسان 2018، "جاست سكيوريتي". [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.justsecurity.org/55397/legal-implications-defect-pentagons-civilian-casualty-assessments/>

¹¹⁸ انظر "التقارير الشهرية لقوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب" التي تحوي كل شهر قائمة بالادعاءات التي اعتُبرت "غير موثوقة". [بالإنجليزية]. مُتاحة على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/News-Releases/>

¹¹⁹ المصدر السابق – اعتُبرت 6 مزاعم موثوقة في يناير/كانون الثاني 2018 و4 في فبراير/شباط 2018 و6 في مارس/آذار 2018 و3 في إبريل/نيسان 2018.

¹²⁰ المصدر السابق – اعتُبرت 207 مزاعم غير موثوقة في يناير/كانون الثاني 2018 و102 في فبراير/شباط 2018 و78 في مارس/آذار 2018 و46 في إبريل/نيسان 2018.

¹²¹ انظر مثلاً: "دورة تخفيض الخسائر في أرواح المدنيين الخاصة بالجيش الأمريكي، يوليو/تموز 2012". [بالإنجليزية]. مُتاحة على الرابط:

<https://www.globalsecurity.org/jhtml/jframe.html#https://www.globalsecurity.org/military/library/policy/army/attp/attp3-37-31.pdf|||ATTP%203-37.31:%20Civilian%20Casualty%20Mitigation>

¹²² "تقدّر التحالف إجمالاً 29070 ضربة في الفترة ما بين أغسطس/آب 2014 ويناير/كانون الثاني 2018. وخلال هذه الفترة كان العدد الإجمالي للأنباء التي تفيد باحتمال سقوط قتلى وجرحى بين المدنيين هو 2015، وكان العدد الإجمالي للأنباء سقوط قتلى وجرحى مدنيين الموثوقة خلال هذه الفترة الزمنية هو 2018." وتشير الأرقام إلى العدد الإجمالي لضربات التحالف المعترف بها في جميع المواقع في العراق وسوريا. ولا يوجد أي تقرير فيما يخص الرقّة تحديداً.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب "التقرير الشهري للخسائر في أرواح المدنيين"، 22 فبراير/شباط 2018، [بالإنجليزية].
مُتاح على الرابط: <http://www.inherentresolve.mil/News/News-Releases/News-Article-View/Article/1447350/cjtf-oir-monthly-civilian-casualty-report/>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

7. الوضع الإنساني المروّع

"لماذا يُحجم أولئك الذين أنفقوا أموالاً طائلة على حملة عسكرية باهظة التكاليف دمّرت المدينة عن تقديم مساعدات الإغاثة للسكان الذين هم في أمسّ الحاجة إليها؟"¹²³

سكان الرقّة

بعد مضي ثمانية أشهر على انتهاء الحملة العسكرية، ما زال أغلب أهل الرقّة نازحين. ويعيش من عادوا في ظروف مروّعة وسط الأنقاض ورائحة تعفن الجثث المحصورة تحتها. وتتناثر في أرجاء المدينة الذخائر التي لم تنفجر، وما زالت تتسبب في سقوط قتلى وجرحى من السكان. وبحلول وقت كتابة هذا التقرير، كان زهاء 100 ألف شخص قد عادوا إلى الرقّة منذ انتهاء العمليات الحربية في أكتوبر/تشرين الأول 2017، برغم الخطر الذي تمثله الذخائر التي لم تنفجر، وأغلبها عبوات ناسفة مُرتجلة تركها مقاتلو تنظيم "الدولة الإسلامية"، بالإضافة إلى بعض الذخائر التي ألقتها قوات التحالف ولم تنفجر، وهو ما جعل المدينة غير آمنة.

وكان الجميع تقريباً من العائدين إلى المدينة الذين قابلتهم منظمة العفو الدولية في الرقّة يسألون سؤالاً بسيطاً: لماذا يُحجم أولئك الذين أنفقوا أموالاً طائلة على حملة عسكرية باهظة التكاليف دمّرت المدينة عن تقديم مساعدات الإغاثة للسكان الذين هم في أمسّ الحاجة إليها؟ وكان على رأس أولوياتهم توفير المعدات اللازمة لانتشال الجثث وإزالة العبوات المتفجرة المحصورة وسط الأنقاض. ولم يقر مسؤولو التحالف حتى الآن بمدى الأضرار التي لحقت بالمدينة، وكان معظمها نتيجة لضربات التحالف.

ويتباين الدمار الواسع النطاق الذي لحق بكل شارع تقريباً في الرقّة نتيجة للضربات المدفعية والجوية تبايناً صارخاً مع مزاعم التحالف بخصوص دقة الضربات.¹²⁴ وقد وجد خبراء الأمم المتحدة، وباحثو منظمة العفو الدولية الذين أجروا التقصي، والمراسلون الحربيون المتمرسون أن مستوى الدمار في الرقّة أقطع من أي شيء شاهدوه من قبل في

¹²³ كانت هذه هي المشاعر التي عبر عنها كثير من سكان الرقّة لمنظمة العفو الدولية خلال مقابلات في أرض الواقع في الرقّة خلال فبراير/شباط 2018.

¹²⁴ أنباء الخسائر البشرية في صفوف المدنيين في الحرب على تنظيم "الدولة الإسلامية" مبالغ فيها بشدة" مجلة "فورين بوليسي"، 15 سبتمبر/أيلول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://foreignpolicy.com/2017/09/15/reports-of-civilian-casualties-from-coalition-strikes-on-isis-are-vastly-inflated-It-gen-townsend-cjtf-oir/>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

حروب أخرى.¹²⁵ وفي إبريل/نيسان، أفادت "مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين" بأن "فريق الأمم المتحدة الذي دخل مدينة الرقة دُهل من مستوى الدمار الذي تجاوز أي شيء رأوه من قبل".¹²⁶

وكان الجنرال روبرت جونز، نائب قائد "قوات المهام المشتركة-عملية العزم الصلب"، قد وعد مع اشتداد وطيس المعركة لطرد تنظيم "الدولة الإسلامية" في يوليو/تموز 2017 بأن "تحرير الرقة... ليس نهاية المطاف. إنه في واقع الأمر بداية العملية. فالتعافي الحقيقي يبدأ بمجرد أن ينتهي القتال."¹²⁷ إلا إنه منذ انتهاء القتال لم تُقدّم معظم المعونة الإنسانية التي كان السكان يأملون فيها. فبينما تُنقذ بعض مشروعات إصلاح البنية الأساسية بمساعدة دولية، يشكو السكان من عدم تلقي مساعدة لتجاوز خسائرهم. وخلال زيارة منظمة العفو الدولية في فبراير/شباط 2018، شكت أسر في شتى أنحاء المدينة من استمرار عدم انتشار الجثث من تحت أنقاض المباني التي قُصفت. ولاحظ "مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية"، في أعقاب تقييم للحاجات الإنسانية أُجري في أوائل إبريل/نيسان، "دماراً واسع النطاق في شتى أنحاء المدينة، ومستوى حرجاً من انتشار خطر المتفجرات مع عدم كفاية الموارد اللازمة لإجراء مسح لأخطار المتفجرات وإزالتها، وكذلك نقصاً في الخدمات العامة".¹²⁸

تركة قاتلة: الذخائر التي لم تنفجر

"أفضل أن أقتل بلغم على أن أرى أطفالاً يبكون كل يوم لأنهم جوعى".¹²⁹

رولا، امرأة تنقب في أنقاض المباني الواقعة حول المستشفى العام

¹²⁵ "التغطية الإخبارية على مدى 24 ساعة لا تكفي لإظهار الصورة الحقيقية للدمار الكامل في شتى أنحاء الرقة. لم أر قط شيئاً مثل هذا." كوينتين سومرفيل، مراسل "بي بي سي"، 17 سبتمبر/أيلول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://twitter.com/sommervilletv/status/909456790223540229?lang=en>

¹²⁶ "أول بعثة إنسانية للأمم المتحدة إلى مدينة الرقة بعد انتهاء سيطرة تنظيم "الدولة الإسلامية" عليها"، "مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين"، 5 إبريل/نيسان 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.unhcr.org/sy/11607-first-un-humanitarian-mission-raqqa-city-post-isis.html>

ولاحظ الفريق مستوى عالٍ إلى أقصى حد من الدمار حيث دُهر ما يقرب من 70 بالمئة من المباني أو أُلحقت بها أضرار"، "الأزمة السورية: شمال شرق سوريا"، تقرير الوضع رقم 23 (15 مارس/آذار - 15 إبريل/نيسان 2018) "مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية"، 18 إبريل/نيسان 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.humanitarianresponse.info/en/operations/whole-of-syria/document/syria-crisis-north-east-syria-situation-report-no-23-15-march-%E2%80%9393>

¹²⁷ "روبرت جونز يناقش المعركة من أجل الرقة"، إذاعة "أرنا إف إم راديو"، 24 يوليو/تموز 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=XJzQ3B1AIW0>

¹²⁸ "الأزمة السورية: شمال شرق سوريا"، تقرير الوضع رقم 23 (15 مارس/آذار - 15 إبريل/نيسان 2018)، "مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية"، 18 إبريل/نيسان 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.humanitarianresponse.info/en/operations/whole-of-syria/document/syria-crisis-north-east-syria-situation-report-no-23-15-march-%E2%80%9393>

¹²⁹ مقابلة مع رولا، الرقة، 15 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

وصف مسؤولون بالأمم المتحدة عدد الألغام والعبوات الناسفة المرتجلة التي زرعتها تنظيم "الدولة الإسلامية" في المنازل والمتاجر والمباني العامة والطرق بأنه لم يسبق له مثيل.¹³⁰ وما زالت كثير من هذه الألغام والعبوات الناسفة، فضلاً عن القنابل غير المنفجرة التي ألقتها قوات التحالف، منتشرة في المدينة، ويُتوقع أن تستمر عملية التطهير لأشهر، إن لم يكن لسنوات. وفي أثناء ذلك، تمثّل الألغام والعبوات الناسفة خطراً داهماً مستمراً يتسبب في مقتل وإصابة مدنيين كل يوم. ويهدد الخطر بوجه خاص الرجال والفتية الذين يعملون باليومية في إزالة الأنقاض من المنازل والمتاجر المتضررة والنساء والأطفال الذين ينقبون في الأنقاض بحثاً عن المعادن الخردة وغيرها من المواد التي يمكن بيعها.

وفي مقابلة مع منظمة العفو الدولية، قال أيمن، وهو فتى عمره 14 سنة يعمل باليومية في إزالة الأنقاض من المنازل المتضررة مقابل ما بين ألفين وثلاثة آلاف ليرة سورية في اليوم (ما بين 4 و6 دولارات أمريكية تقريباً)، إن أحد أصدقائه، وهو طفل في مثل عمره، قُتل في الأسبوع السابق أثناء قيامه بالعمل نفسه، وأضاف قائلاً: "كان اسمه محمد. وكان يعمل في إزالة الأنقاض من منزل في حي الحديقة البيضاء وانفجر لغم في الأنقاض فمات. كان في نفس سني. ماذا يمكننا أن نفعل؟ علينا أن نعمل."¹³¹ وقالت رولا، وهي امرأة كانت تجمع المعادن الخفيفة من أنقاض المباني المحيطة بالمستشفى العام مع اثنين من أطفالها عمراهما سبع وتسع سنوات، لمنظمة العفو الدولية: "ماذا نفعل؟ لدي ثلاثة أطفال أصغر وليس لدينا ما نأكله. أفضل أن أقتل بلغم على أن أرى أطفالتي يبكون لأنهم جوعى."¹³²

وفي اليوم السابق، 14 فبراير/شباط 2017، أصيبت امرأة أخرى، وهي أم لثمانية أطفال تُدعى أم أنس، بجروح خطيرة في انفجار في المنطقة نفسها وهي تجمع المعادن الخردة. وأبلغ زوجها منظمة العفو الدولية بأنه لا يعرف إن كانت حية أم تُوفيت. وقد أُبلغ بأنها نُقلت إلى مستشفى في تل أبيب، لكنه لا يستطيع تحمّل تكاليف السفر إلى هناك. ومع عدم وجود خطوط هاتف عاملة في الرقّة، لم تكن لديه وسيلة للاتصال بالمستشفى للاستفسار عن حالتها.¹³³ وذكر بعض موظفي الإسعاف في المنطقة، أن ما يزيد على ألف شخص، وبينهم كثير من الأطفال، قد أُصيبوا بجروح أو قُتلوا بسبب الألغام في الفترة ما بين أكتوبر/تشرين الأول 2017 وإبريل/نيسان 2018، لكن من المرجح أن العدد الفعلي للضحايا أكبر من ذلك لأن الذين لفظوا أنفاسهم قبل الوصول إلى المساعدة الطبية لم يكن مصيرهم يُعرف بالضرورة.¹³⁴

¹³⁰ "عدد الذخائر التي لم تنفجر في الرقّة شيء لم نر مثيلاً له من قبل"، بانوس مومترزيس، الأمين العام المساعد للأمم المتحدة والمنسق الإقليمي للشؤون الإنسانية في الأزمة السورية، كما نُقل عنه في: "الأمم المتحدة: اللاجئون في مدينة الرقّة السورية عرضة لخطر 'بالغ الشدة' بسبب ألغام تنظيم 'الدولة الإسلامية'، "رويترز"، 6 فبراير/شباط 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.reuters.com/article/us-mideast-crisis-syria-raqqa/refugees-in-syrias-raqqa-face-extreme-is-landmine-threat-u-n-idUSKBN1FQ2H4>

¹³¹ مقابلة مع أيمن، الرقّة، 15 فبراير/شباط 2018.

¹³² مقابلة مع رولا، الرقّة، 15 فبراير/شباط 2018.

¹³³ مقابلة مع أبي أنس، الرقّة، 16 فبراير/شباط 2018.

¹³⁴ "السوريون يعودون إلى المنازل التي تتناثر فيها الألغام في الرقّة، لكن الولايات المتحدة قد تخفض الأموال المخصصة لتطهير المدينة"، صحيفة "ذي إنديبندنت"، 1 مايو/أيار 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://theintercept.com/2018/05/01/syria-isis-defeat-landmines-humanitarian-aid/>

و"سوريا: مقتل وإصابة المئات بسبب الألغام الأرضية في الرقّة؛ يلزم مزيد من الدعم الدولي للتطهير"، "هيومن رايتس ووتش"، 12 فبراير/شباط 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.hrw.org/news/2018/02/12/syria-landmines-kill-injure-hundreds-raqqa>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

وتستمر منظمة "أطباء بلا حدود" الطبية الدولية، التي لها عيادة في الرقة، في استقبال أعداد ضخمة من ضحايا الإصابات ذات العلاقة بالانفجارات.¹³⁵



اطفال يبحثون عن الخردة المعدنية في أنقاض المباني المدمرة في الرقة ، حيث تم تفخيخ العديد من المباني من قبل داعش وكثيراً ما يقتل الأطفال والبالغين بسبب الألغام. © منظمة العفو الدولية

ويُشار إلى العمال باليومية والمنقبين في الأنقاض في بعض الأحيان على أنهم "مزبلو الألغام غير الرسميون"، لأنهم يخاطرون بحياتهم بالعمل في أنقاض المباني المتهمة بسبب القصف والتي قد تكون مُلغمة. فقد قال رجل أعمال من أهل المدينة لمنظمة العفو الدولية:

الناس بحاجة إلى العودة إلى ما تبقى من منازلهم وأعمالهم لكن لا أحد يزيل الألغام. إذا كنت ميسوراً، تستطيع أن تستأجر عمالاً، وإذا كان هناك ألغام فهم الذين يُقتلون. الجميع يعرفون بخطر الألغام لكن الناس يحتاجون إلى العمل. لقد فقد الناس كل شيء وسيقومون بأي عمل لإطعام أطفالهم. للأسف هذه هي الحياة في الرقة اليوم. لقد تمكنت من استئجار جرّافة لإزالة الأنقاض من النصف الذي دُمر من بيتي. لكن هذا مكلف وليس في استطاعة أغلب الناس.¹³⁶

و"مجلس الرقة المدني" هو الهيئة المكلفة بتنسيق إدارة المدينة والمناطق المحيطة بها والتي تقع خارج نطاق سيطرة الحكومة السورية. وأبلغ مسؤولو المجلس منظمة العفو الدولية بأنهم يفتقرون إلى الأموال اللازمة للتصدي

¹³⁵ سوريا: أطباء بلا حدود تعالج 33 من ضحايا الانفجارات في الرقة في الأسبوع الأول من 2018، "أطباء بلا حدود"، يناير/كانون الثاني 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.msf.org/en/article/syria-33-blast-victims-treated-msf-raqqa>- first-week-2018

و"سوريا: أعداد المرضى تتضاعف في شمال شرق البلاد مع عودة مزيد من الناس إلى ديارهم حيث الألغام الأرضية"، "أطباء بلا حدود"، 3 إبريل/نيسان 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.msf.org/en/article/syria-patient-numbers-double-northeast-more-people-return-home-landmines>

¹³⁶ مقابلة مع أبي علي، الرقة، 16 فبراير/شباط 2018.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

حتى لأبسط الحاجات الأساسية في المدينة المدمرة. وفي مقابلة مع منظمة العفو الدولية، قالت ليلي مصطفى، الرئيس المشارك للمجلس:

السكان يأتوننا كل يوم طالبين أن نتنشل جثث أقاربهم المحصورة في أنقاض المباني المدمرة، لكن ليس لدينا سوى عدد قليل للغاية من الجرّافات وأغلبها ليست من النوع المناسب، ولذلك لا نستطيع تلبية أغلب هذه الطلبات. نحن نحتاج إلى معدّات لرفع الكميات الضخمة من الأنقاض الثقيلة المليئة بالألغام ونفتقر إلى هذه المعدّات.¹³⁷



رجال ينتظرون على جانب الطريق للعمل في الرقّة. وينتهي المطاف بالعديد منهم بإخلاء مبانٍ مدمرة جزئياً أو متضررة، وهي مسعى محفوف بالمخاطر حيث أن العديد من الأبنية تم تفخيخها بواسطة داعش، وكثيراً ما يقتل المدنيون ويجرحون بسبب الألغام. © منظمة العفو الدولية

ولم تكن التصريحات التي أدلى بها ممثلو الولايات المتحدة مبشّرة دائماً. ففي إبريل/نيسان 2018، قال جيري غيلبرت المسؤول بوزارة الخارجية الأمريكية رداً على سؤال من صحفي: "... لم نشرع في هذا من البداية وفي ذهننا أن المجتمع الدولي سيظهر الرقّة أو سيظهر سوريا. هذا ينبغي أن يُنظر إليه في نهاية الأمر على أنه مشكلة سورية بحاجة إلى حل سوري."¹³⁸ وجيري غيلبرت هو مدير البرامج في مكتب إزالة وتخفيض الأسلحة في مكتب الشؤون السياسية العسكرية في وزارة الخارجية الأمريكية.

وأبلغ عضو قيادي آخر في "مجلس الرقّة المدني" صحيفة "وول ستريت جورنال" في مارس/أذار 2018 بأن الولايات المتحدة لم تقم "عملياً بأي شيء" للإصلاح في الرقّة منذ انتهاء العملية العسكرية. فقد كانت الأموال بطيئة الوصول، وعندما تصل كانت المشروعات التي تقترحها "الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية"، مثل إعادة طلاء الأرصفة، لا تتفق

¹³⁷ مقابلة مع ليلي مصطفى، عين عيسى، 6 فبراير/شباط 2018.

¹³⁸ "موجز صحفي بشأن جهود الولايات المتحدة لنزع الألغام في شتى أنحاء العالم." 4 إبريل/نيسان 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://www.state.gov/r/pa/prs/ps/2018/04/280216.htm>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

مع الحاجات المحلية.¹³⁹ كما شاهد مندوبو منظمة العفو الدولية في الرقة أنشطة أخرى ذات تمويل دولي مماثلة من حيث إنها غير ضرورية ولا تتفق مع الأولويات، من بينها شرطة للمرور ذات زي أبيض تُوجّه حركة المرور التي لا وجود لها في تقاطعات مقفرة، وعمال يكنسون التراب ويكومونه في أكياس منمّقة في الشوارع التي تصطف على جوانبها تلال من الأنقاض التي لم تجد من يزيلها. وكانت شكاوى السكان بخصوص عدم تلبية هذه المشروعات لحاجاتهم لها ما يبررها، على ما يبدو.

السلب والنهب في أعقاب المعركة

عقب المعركة مباشرة قامت "قوات سوريا الديمقراطية" بإخلاء الرقة ممن بقي فيها من السكان. وتعرضت الممتلكات، في غياب من يحميها، للنهب على نطاق واسع. وفي مقابلة مع منظمة العفو الدولية، قال حسن، وهو تاجر يبيع الأجهزة المنزلية: "ما لم يُدمّر خلال الحرب نُهب بعد التحرير." وأضاف قائلاً إن كل ما كان في منزله ومتجره ومخزنه المجاورين له نُهب بالكامل بعد أن غادر الرقة.

[أفراد] "داعش" سرقوا منا الكثير في وقت سابق، لكن خلال المعركة كانت لهم أولويات أخرى. وقد غادرت الرقة قبل انتهاء المعركة ببضعة أيام، وفي ذلك الوقت كان من المستحيل أن تتمكن "داعش" من أخذ مثل هذه المواد؛ عشرات البرادات والثلاجات والغسالات إلى آخره. حاولت العودة إلى الرقة فور انتهاء المعركة، لكن "قوات سوريا الديمقراطية" لم تسمح للسكان بالعودة آنذاك لأن هناك ألغاماً زرعها "داعش"، حسب قولها. أما الآن، بعد أن نُهب كل شيء، يُسمح للسكان بالعودة برغم أنه ما زالت هناك ألغام في كل مكان والناس يُنسفون نسفاً كل يوم بهذه الألغام.¹⁴⁰

وقد كان نهب ما لم يُدمّر القصف والقتال أمراً معتاداً على ما يبدو في المناطق التي تمت استعادتها من تنظيم "الدولة الإسلامية" في شتى أنحاء الرقة وخارجها. وأفاد أغلب سكان الرقة الذين قابلتهم منظمة العفو الدولية بأن عقاراتهم، أي منازلهم وكذلك متاجرهم، قد نُهبت. وحمل السكان أفراد "قوات سوريا الديمقراطية" مسؤولية النهب والسماح لآخرين بأن ينهبوا.¹⁴¹ وعلى حد قول أبو رامي، وهو من سكان أحد أحياء وسط المدينة:

كان معروفاً أن [أفراد] "داعش" لصوص، لكننا لم نتوقع أن يسرق من أتوا لتحريرنا من "داعش" أيضاً. استولى [أفراد] "داعش" على ممتلكات من غادروا المدينة وفرضوا على السكان كل أنواع الضرائب لكنهم في النهاية تخلوا عن ذلك، حيث كانوا يركزون على إنقاذ حياتهم أو القتال حتى الموت. وجاءت "قوات سوريا الديمقراطية" إلى المدينة ولم تسمح لنا بالعودة لأسابيع. وعندما عدنا وجدنا أن كل شيء قد سُرق. لقد قامت "قوات سوريا الديمقراطية" بالنهب وسمحت لآخرين بالنهب. ينبغي أن تتحمل المسؤولية عن هذا. نحن نرى

¹³⁹ "كيف يعرض الإهمال الأمريكي النصر على تنظيم "الدولة الإسلامية" للخطر"، صحيفة "وول ستريت جورنال"، 19 إبريل/نيسان 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: https://www.washingtonpost.com/graphics/2018/world/syria/raqqa-residents-abandoned-and-forgotten/?utm_term=.511861fb4cbc

¹⁴⁰ مقابلة مع حسن، الرقة، 15 فبراير/شباط 2018.

¹⁴¹ بدأت ظهور أنباء عن قيام جنود "قوات سوريا الديمقراطية" بالنهب تظهر عقب استعادة الرقة. انظر مثلاً: <https://twitter.com/24Raqqa/status/928228752768798720>

وفي بداية حملة الرقة العسكرية، عبر "مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان" عن قلقه بخصوص انتهاكات حقوق الإنسان، بما في ذلك النهب، على أيدي أفراد "قوات سوريا الديمقراطية" في المناطق التي استعادوها من "الدولة الإسلامية". انظر على سبيل المثال: "مع حصار الآلاف في الرقة، مسؤولون حقوقيون بالأمم المتحدة يقولون: ينبغي عدم التضحية بالمدنيين من أجل الانتصارات العسكرية"، أنباء الأمم المتحدة، 28 يونيو/حزيران 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <https://news.un.org/en/story/2017/06/560502-civilians-must-not-be-sacrificed-military-victories-un-rights-chief-thousands>

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

أشياءنا تُباع في الأسواق هنا وهناك. هذا خطأ. ينبغي أن تتحمل المسؤولية عن هذا وأن تفعل شيئاً بشأنه.

وقال سكان عدة مناطق في الرقة لمنظمة العفو الدولية بأنهم أنشأوا لجان مراقبة غير رسمية في الأحياء حيث تتناوب مجموعات من السكان مراقبة المنازل والمتاجر لمنع المزيد من النهب. وشكا السكان كذلك من أن اللصوص يتمكنون من الالتفاف بسهولة والإفلات من حواجز التفتيش، التي تقيمها "قوات سوريا الديمقراطية" نهراً في التقاطعات الرئيسية في شتى أنحاء المدينة، ويعملون بحرية خلال الليل عندما تخلو الشوارع ويتلاشى الوجود الأمني.



منجر لبيع السلع المنزلية في وسط المباني المدمرة في الرقة، ويشكو كثير من رجال الأعمال من نهب متاجرهم ومستودعاتهم بعد مغادرتهم المدينة. © منظمة العفو الدولية

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

منظمة العفو الدولية

8. الإطار القانوني

تؤكد الأدلة التي جمعتها منظمة العفو الدولية في الرقة في فبراير/نشاط 2018، والواردة في التقرير الحالي، أن ضربات التحالف الجوية أدت إلى مقتل وإصابة مدنيين في الرقة. كما توفر أدلة على أن أنواعاً أخرى من الهجمات، مثل قذائف مدفعية التحالف وقذائف الهاون التي أطلقتها "قوات سوريا الديمقراطية" وتنظيم "الدولة الإسلامية"، أدت كذلك إلى مقتل وإصابة مدنيين، وإن كان من الأصعب أن تُنسب الخسائر في أرواح المدنيين بسبب قذائف الهاون إلى هذا الطرف أو ذلك من أطراف الصراع. كما وثقت المنظمة سقوط قتلى وجرحى مدنيين من جراء انفجار الألغام والعبوات الناسفة المرترجة التي زرعتها تنظيم "الدولة الإسلامية"، والتي ما زالت تؤدي إلى قتل مدنيين أو بتر أطرافهم في الرقة، وكذلك من جراء نيران قنّاصة تنظيم "الدولة الإسلامية" الذين كانوا يطلقون النار عمداً على المدنيين الذين يحاولون الهرب.

ويضع القانون الدولي الإنساني، أو قوانين الحرب، قواعد قانونية ملزمة لجميع أطراف أي نزاع مسلح، سواء من القوات المسلحة التابعة للدول أو الجماعات المسلحة غير الرسمية. وتهدف هذه القواعد، التي تشرح الفقرات التالية أكثرها ارتباطاً بهذه الحالات، إلى تقليل المعاناة الإنسانية في الحرب إلى أدنى قدر ممكن، وتوفير الحماية بوجه خاص للمدنيين والأفراد غير المشاركين مباشرة في العمليات الحربية. وفي أوضاع النزاع المسلح لا تكون كل الخسائر في أرواح المدنيين غير مشروعة. إلا إن سقوط قتلى وجرحى مدنيين مؤشراً يدل على وقوع خطأ ما. وقد يكون هذا نتيجة لانتهاك القواعد بل ولارتكاب جرم جنائي، أو قد يكون نتيجة حادث عرضي أو خطأ أو عطل في منظومة أسلحة، أو النتيجة العرضية لهجوم مشروع. ومن الضروري إجراء تحقيق لتحديد ذلك، وضمان المحاسبة في حالة وقوع انتهاكات، واتخاذ إجراءات لتفادي إلحاق أذى لا مبرر له بالمدنيين.

وتطرح الحالات المعروضة في هذا التقرير، استناداً إلى النتائج التي توصلت إليها منظمة العفو الدولية والتحليل الذي قامت به، احتمالاً كبيراً للغاية لسقوط قتلى وجرحى مدنيين (وتدمير أعيان مدنية أو إلحاق أضرار بها) في انتهاك للقانون الدولي الإنساني. وقد بعثت المنظمة برسالة إلى التحالف تطلب معلومات إضافية بخصوص هذه الحالات وبشأن هجمات أخرى وتطرح أسئلة بشأن أساليب التحالف، والوسائل والطرق المحددة المُستخدمة في الهجوم، واختيار الأهداف، والاحتياطات المتخذة في التخطيط للهجمات وتنفيذها، ومثل هذه المعلومات ضرورية للتقييم الكامل لتأكيدات التحالف بخصوص التزامه بالقانون الدولي الإنساني. والتزام التحالف بالشفافية شرطاً لازماً لضمان المحاسبة وإقرار العدالة وجبر الضرر للمدنيين الذي لحق بهم الأذى نتيجة للانتهاكات. والتحقيق في أنباء الانتهاكات، فضلاً عن كونه واجباً قانونياً، هو أيضاً أمر لا بدّ منه للقوات المسلحة لكي تتعلم كيف تزيد الاحترام للقانون الدولي الإنساني، وهو مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى المدنيين الذين تتقطع بهم السبل وسط قتال المدن.

القانون الدولي الإنساني الواجب التطبيق

التحالف وتنظيم "الدولة الإسلامية" من أطراف النزاع المسلح في سوريا. وثمة بعض الخلاف حول نوع النزاع المسلح: أهو دولي أم غير دولي. فالتحالف يشن هجمات في سوريا دون موافقة الحكومة السورية. وبهذا المعنى يكون هذا

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

نزاعاً مسلحاً دولياً. لكن القتال بين التحالف وتنظيم "الدولة الإسلامية"، وهو جماعة مسلحة غير رسمية، هو نزاع مسلح غير دولي.

والولايات المتحدة الأمريكية من الدول الأطراف في "اتفاقيات جنيف" الأربع لعام 1949. والمملكة المتحدة وفرنسا من الدول الأطراف في هذه الاتفاقيات وكذلك في البروتوكولات الإضافية الثلاثة الملحقة بها. وعلى أي حال، فأغلب قواعد القانون الدولي الإنساني المتعلقة بسير العمليات الحربية، بما في ذلك كل الأحكام المشار إليها في هذا التقرير، تنطبق على النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية على السواء وهي مُلزمة لجميع الأطراف سواء أكانت قوات رسمية أم غير رسمية.¹⁴²

مبدأ التمييز

مبدأ التمييز من الركائز الأساسية التي يقوم عليها القانون الدولي الإنساني. ويقتضي هذا المبدأ أن "يُميّز أطراف النزاع في جميع الأوقات بين المدنيين والمقاتلين" وضمن أن "تُوجّه الهجمات إلى المقاتلين فحسب" و"لا يجوز أن تُوجّه الهجمات إلى المدنيين".¹⁴³ وينبغي لأطراف النزاع كذلك أن تميّز بين "الأعيان المدنية" و"الأهداف العسكرية". وأي شخص لا ينتمي إلى القوات المسلحة لطرف من أطراف النزاع هو مدني، والسكان المدنيون هم جميع الأشخاص غير المقاتلين.¹⁴⁴ ويتمتع المدنيون بالحماية من الهجوم ما لم يقوموا بدور مباشر في الأعمال العدائية وطوال الوقت الذي يقومون فيه بهذا الدور.¹⁴⁵ وفي حالة الشك يُعتبر الأشخاص المعينون مدنيين ويتمتعون بالحصانة من الهجوم المباشر.¹⁴⁶ ويُعد استهداف السكان المدنيين أو المدنيين الأفراد الذين لا يقومون بدور مباشر في الأعمال العدائية بالهجوم المباشر (الهجمات المباشرة على المدنيين) جريمةً من جرائم الحرب.¹⁴⁷

والأعيان المدنية هي جميع الأعيان التي ليست "أهدافاً عسكرية"، و"تقتصر الأهداف العسكرية على الأعيان التي تسهم إسهاماً فعالاً في العمل العسكري سواء بطبيعتها أو موقعها أو غايتها أو استخدامها، والتي يحقق تدميرها كلياً أو جزئياً أو الاستيلاء عليها أو تعطيلها، في الأحوال السائدة في حينه ميزة عسكرية مؤكدة."¹⁴⁸ وتُحمى الأعيان المدنية من الهجوم ما لم تكن قد أصبحت أهدافاً عسكرية بسبب انطباق جميع معايير الأهداف العسكرية المذكورة

¹⁴² للاطلاع على قائمة ذات حجية بهذه الأحكام انظر: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، القانون الدولي الإنساني العرفي: المجلد 1: القواعد، تحرير جي إم هينكارت وإل دوزوالد بيك، 2005. [بالإنجليزية]. (يُشار إليها لاحقاً بالعنوان: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي").

¹⁴³ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 1. انظر أيضاً "البروتوكول الإضافي الملحق باتفاقيات جنيف المعقودة في 12 أغسطس/آب 1949 والمتعلق بحماية ضحايا النزاعات الدولية المسلحة" ("البروتوكول الأول")، المادة 48، و"البروتوكول الإضافي الملحق باتفاقيات جنيف المعقودة في 12 أغسطس/آب 1949 والمتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية" ("البروتوكول الثاني")، المادة 12(2).

¹⁴⁴ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 5؛ انظر أيضاً: "البروتوكول الأول"، المادة 50.

¹⁴⁵ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 6؛ انظر أيضاً: "البروتوكول الأول"، المادة 51(3)؛ و"البروتوكول الثاني"، المادة 13(3).

¹⁴⁶ "البروتوكول الأول"، المادة 50(1).

¹⁴⁷ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 156، الصفحة 496.

¹⁴⁸ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدتان 8 و9؛ و"البروتوكول الأول"، المادة 52.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

عليها مؤقتاً وطوال الوقت الذي تكون فيه كذلك.¹⁴⁹ وفي حالة ما إذا ثار شك في أن مبنى ما مكرساً في العادة لأغراض مدنية إنما يُستخدم في تقديم إسهام فعال في العمل العسكري، فعلى أطراف الصراع أن تفترض أنه يحتفظ بطبيعته المدنية.¹⁵⁰ ويُعد اتخاذ الأعيان المدنية هدفاً للهجوم جريمة حرب.¹⁵¹

وتُحظر الهجمات العشوائية.¹⁵² والهجمات العشوائية هي الهجمات التي قد تضرب أهدافاً عسكرية وأعياناً مدنية دون تمييز، سواء لأن الهجوم ليس موجّهاً إلى هدف عسكري محدد أو لأنه يستخدم طريقة أو وسيلة قتال لا يمكن توجيهها إلى هدف عسكري محدد أو لا يمكن تحديد آثارها على النحو الذي يقتضيه القانون الدولي الإنساني.¹⁵³ ويُعد شن هجوم عشوائي يسفر عن مقتل أو إصابة مدنيين جريمة من جرائم الحرب.¹⁵⁴

وتتضمن أغلب الحالات التي يتناولها هذا التقرير بالدراسة هجمات أصابت أعياناً مدنية، وهي منازل أو أماكن أخرى لجأ إليها المدنيون احتماً من القتال، وهو أمر أدى إلى مقتل وإصابة مدنيين. وأفاد شهود العيان بأنه لم يكن هناك مقاتلون في محيط تلك الأماكن وقت الهجمات. وقد تكون مثل هذه الهجمات إما هجمات مباشرة على المدنيين أو الأعيان المدنية وإما هجمات عشوائية.

وفي حالة الضربات الجوية التي استُخدمت فيها ذخائر دقيقة التوجيه كانت الأعيان التي صُربت هي الأعيان التي استُهدفت. وهذا يطرح تساؤلات بخصوص ما إذا كانت المعلومات التي استُخدمت في اختيار الأهداف غير موثوق بها أو قديمة تجاوزتها الأحداث. كما يثير تساؤلات بشأن السبب في عدم دراية من خططوا لهذه الهجمات بوجود أعداد ضخمة من المدنيين، أو إذا كانوا على دراية بذلك فلماذا قرروا المضي قدماً كما فعلوا. ونظراً لأن تنظيم "الدولة الإسلامية" كان بالفعل يمنع المدنيين في المناطق التي يسيطر عليها بشكل معتاد من الهرب، بل وكان يستخدمهم عمداً كدروع بشرية، فقد كان ينبغي أن تكون أرجحية وجود أعداد كبيرة من المدنيين في المنطقة واضحة للتحالف. وقد كان من المحتم أن يؤدي استخدام ذخائر ذات وزن متفجر صاف ضخم إلى مقتل وإصابة مدنيين في محيط الهدف المباشر حتى لو أصابت أهدافها بدقة. وعندما صُربت منازل مدنية بشكل مباشر في مثل هذه الضربات الجوية كانت النتائج مدمرة.

أما في حالة سقوط قتلى وجرحي مدنيين نتيجة القصف المدفعي أو قذائف الهاون، فهذه على ما يبدو هجمات عشوائية. والاستخدام المتكرر لأسلحة متفجرة غير دقيقة التوجيه مثل هذه على مناطق قريبة من المدنيين هو أسلوب يتسم بالاستهتار وينتهك حظر الهجمات العشوائية. وإذا لم يكن التحالف على علم منذ البداية بأن استخدام المدفعية بهذا الأسلوب في مدينة الرقة سيؤدي إلى وفيات وإصابات لا لزوم لها بين المدنيين (وهذا في حد ذاته أمر لا يمكن تصديقه نظراً لخبرة محاربة تنظيم "الدولة الإسلامية" في الموصل)، فكان ينبغي أن يتعلم هذا الدرس على وجه السرعة ويغير أساليبه.

¹⁴⁹ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 10.

¹⁵⁰ "البروتوكول الأول"، المادة 3(52). انظر كذلك: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، الصفحتان 31 و32.

¹⁵¹ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 156، الصفحات 496، و498 و499 و500 و503. وانظر كذلك: "نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية"، المادة 8(2)(ب)(1) و(2) و(2)(8)(هـ)(1) و(2) و(4) و(7). وانظر أيضاً المناقشة في: اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، الصفحة 25.

¹⁵² اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 11؛ و"البروتوكول الأول" المادة (51)(4).

¹⁵³ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 12؛ و"البروتوكول الأول"، المادة (51)(4)(أ).

¹⁵⁴ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، المادة 156، الصفحة 496.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

التناسب

يُعد مبدأ التناسب ركيزة أساسية أخرى من ركائز القانون الدولي الإنساني، وهو يحظر الهجمات غير المتناسبة. والهجوم غير المتناسب هو "الهجوم الذي قد يُتوقَّع منه أن يسبب بصورة عارضة خسائر في أرواح المدنيين أو إصابات بينهم، أو أضراراً بالأعيان المدنية، أو مجموعة من هذه الخسائر والأضرار، ويكون مفرطاً في تجاوز ما يُنتظر أن يُسفر عنه من ميزة عسكرية ملموسة ومباشرة."¹⁵⁵ ويُعد القيام عمداً بشن هجوم غير متناسب (أي مع معرفة أن الهجوم سيسبب بصورة عارضة خسائر جسيمة في أرواح المدنيين أو إصابات بينهم أو أضراراً) جريمةً من جرائم الحرب.¹⁵⁶ ويوضح التعليق على البروتوكولات الإضافية بجلاء أن النص على أن حساب التناسب يتطلب ميزة عسكرية "ملموسة ومباشرة" متوقعة إنما يشير إلى أن مثل تلك الميزة لا بد أن تكون "كبيرة وقرينة نسبياً، وأن المزايا التي تكاد تكون غير ملموسة وتلك التي لن تظهر إلا في المدى الطويل يجب تجاهلها".¹⁵⁷

الاحتياطات

ينبغي لأطراف أي نزاع مسلح، من منطلق احترام مبدئي التمييز والتناسب، أن تتخذ احتياطات في الهجوم. فيتعين أن "يُتوخَّى الحرص الدائم في إدارة العمليات العسكرية على تفادي إصابة السكان المدنيين والأشخاص المدنيين والأعيان المدنية"؛ ويجب اتخاذ "جميع الاحتياطات العملية لتجنب إيقاع خسائر في أرواح المدنيين وإصابتهم والإضرار بالأعيان المدنية بصورة عارضة وتقليلها على أي حال إلى الحد الأدنى".¹⁵⁸ وعلى أطراف النزاع أن تدقّق في اختيار وسائل وأساليب الحرب لتجنب إيقاع خسائر في أرواح المدنيين أو إصابات بينهم أو أضرار بالأعيان المدنية بصورة عارضة أو على الأقل تقليلها إلى الحد الأدنى.¹⁵⁹ وينبغي لأطراف النزاع، فضلاً عن التحقق من أن الأهداف عسكرية وتقييم تناسب الهجمات، أن تتخذ كل الخطوات الممكنة لإلغاء أو تعليق الهجمات إذا تبين أن الهدف غير عسكري أو أن الهجوم غير متناسب.¹⁶⁰ ويجب على الأطراف أن تُوجّه إنذاراً مسبقاً وفعالاً في حالة الهجمات التي قد تمس السكان المدنيين ما لم تحل الظروف دون ذلك.¹⁶¹ وعندما يكون الخيار ممكناً بين عدة أهداف عسكرية للحصول على ميزة عسكرية مماثلة، يتعين على الأطراف أن تختار الهدف الذي يُتوقَّع أن يسبب الهجوم عليه أقل خطر على أرواح المدنيين والأعيان المدنية.¹⁶²

وتنشر المعلومات المحدودة المتاحة بشأن احتياطات الهجوم التي اتخذها التحالف إلى أنها لم تكن كافية أو فعالة. وتنشر الحالات، التي يتناولها التقرير الحالي تفصيلاً، إلى أنه كانت هناك أوجه قصور جديّة في التحقق من أن الأهداف

¹⁵⁵ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 14؛ و"البروتوكول الأول"، المادتان 51(ب) و57.

¹⁵⁶ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 156، الصفحات 496-499.

¹⁵⁷ إيف ساندوز وكريستوف سوبنارسكي وبرونو زيمرمان، "تعليق على البروتوكولات الإضافية"، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 1987، الفقرة 2209. [بالإنجليزية].

¹⁵⁸ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 15. انظر أيضاً: "البروتوكول الثاني"، المادة 13(1).

¹⁵⁹ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 17.

¹⁶⁰ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القواعد 16-19.

¹⁶¹ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 20.

¹⁶² اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 21.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

المختارة للهجمات أهداف عسكرية حقاً، وكانت نتيجتها كارثة بالنسبة إلى حياة المدنيين. وفضلاً عن ذلك، توحى عدة هجمات درستها منظمة العفو الدولية بأن التحالف لم يختار الأسلحة التي تقلل الإضرار بالمدنيين إلى الحد الأدنى على الأقل في تلك الحالات. كذلك لم تكن الإنذارات التي وُجِّهت إلى المدنيين فعالة. فلم تأخذ في حسابها أن المدنيين ممنوعين من مغادرة الرقّة، ولم تتضمن معلومات محددة (مثل إنذار المدنيين بالابتعاد عن المباني العالية).

المسؤولية المشتركة والفردية لأعضاء التحالف

برغم أن التقديرات تشير إلى أن الولايات المتحدة نَقَّذت الأغلبية الساحقة من الضربات الجوية في الرقّة وكذلك جميع ضربات المدفعية التي وُجِّهت إلى المدينة، فقد شَتَّت الطائرات البريطانية والفرنسية أيضاً هجمات على المدينة.¹⁶³ وبسبب الغموض المتعمد الذي يحيط به التحالف صياغة بياناته الخاصة بضرباته، إلى جانب أسباب أخرى، يغيب الوضوح بخصوص مسؤولية الدول الأفراد الأعضاء في التحالف عن الضربات. وتشعر منظمة العفو الدولية بالقلق بخصوص احتمال أن يؤدي عدم الوضوح هذا إلى إتاحة الفرصة لكل من أعضاء التحالف لتجنب المسؤولية عن أفعالهم. فعلى سبيل المثال، طلَّت حكومة المملكة المتحدة تصرُّ حتى مايو/أيار 2018 على أنها لم تقتل مدنياً واحداً في سوريا والعراق، برغم قيامها بألاف الضربات الجوية في شتى أنحاء البلدين.¹⁶⁴ وفي 2 مايو/أيار 2018، اعترفت للمرة الأولى بأن إحدى ضرباتها الجوية التي نُقِّذت باستخدام طائرة بدون طيار أدت إلى مقتل مدني واحد في سوريا في مارس/آذار 2018.¹⁶⁵

وقد وصف الخبراء القانونيون في "اللجنة الدولية للصليب الأحمر" مشكلة نسبة المسؤولية إلى الدول المنفردة التي تعمل ضمن تحالف عسكري في مقال كتبوا فيه: "... (التشارك) قد يكون كذلك سائراً للاحتماء من المحاسبة على مثل هذه الجرائم. فمع التوزيع المبهم للمهام وتشتُّت المسؤولية الكامن في صلب التشارك، يقل استعداد المجتمع الدولي وقدرته على تحديد المسؤول عن سلوك غير مشروع، سواء أكان دولة أو مجموعة أو فرداً، وهذا أقل احتمالاً. ومن شأن هذا أن يخلق مناخاً يتصور فيه أصحاب الشأن، السياسيون والعسكريون على السواء، أنهم بعيدون عن تدقيق عمليات المحاسبة ويتصرفون خارج حدود أطرهم المرجعية المعتادة."¹⁶⁶

إلا إن القانون الدولي يقرر أن أي دولة "تعاون أو تساعد دولة أخرى على ارتكاب فعل غير مشروع دولياً" تكون مسؤولة عن ذلك دولياً، إذا "فعلت ذلك وهي تعلم بالظروف المحيطة بالفعل غير المشروع دولياً" وبأن "هذا الفعل غير مشروع دولياً لو ارتكبته تلك الدولة."¹⁶⁷ وفضلاً عن هذا تكون الدول مسؤولة كذلك عن ارتكاب فعل غير مشروع دولياً "إذا كان

¹⁶³ "الرقّة: مدينة دُمِّرت ثم نُسيّت"، صامويل أوكفورد، منظمة "إيروورز"، 12 مارس/آذار 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:

<https://airwars.org/news/raqqa-a-city-destroyed-then-forgotten/>

¹⁶⁴ انظر، على سبيل المثال، "بريطانيا تلقي 3400 قنبلة على سوريا والعراق – وتقول إنه لم يُقتل مدنيون"، "ميدل إيست آي"،

26 أكتوبر/تشرين الأول 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: [http://www.middleeasteye.net/news/exclusive-uk-drops-](http://www.middleeasteye.net/news/exclusive-uk-drops-3400-bombs-syria-and-iraq-and-says-no-civilians-killed-2032942935)

[3400-bombs-syria-and-iraq-and-says-no-civilians-killed-2032942935](http://www.middleeasteye.net/news/exclusive-uk-drops-3400-bombs-syria-and-iraq-and-says-no-civilians-killed-2032942935)

¹⁶⁵ انظر، مثلاً: "الحرب في سوريا: وزارة الدفاع تعترف بمقتل مدني في هجوم لسلاح الجو الملكي على الدولة الإسلامية"، "بي بي سي"، 2 مايو/أيار 2018. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: <http://www.bbc.com/news/uk-43977394>

¹⁶⁶ "القتال المشترك: الواجبات والفرص في العمليات الحربية المشتركة"، كوردولا دروج وديفيد تاك، "القانون الإنساني

والسياسة"، 28 مارس/آذار 2017. [بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط: [http://blogs.icrc.org/law-and-policy/2017/03/28/fighting-](http://blogs.icrc.org/law-and-policy/2017/03/28/fighting-together-obligations-opportunities-partnered-warfare/)

[together-obligations-opportunities-partnered-warfare/](http://blogs.icrc.org/law-and-policy/2017/03/28/fighting-together-obligations-opportunities-partnered-warfare/)

¹⁶⁷ المادة 16، مسؤولية الدول عن الأفعال غير المشروعة دولياً ("مواد بشأن مسؤولية الدول")، اعتمدها "لجنة القانون الدولي"

في أغسطس/آب 2001 ورَكَّبها الجمعية العامة للأمم المتحدة في عدد من القرارات وأقرَّتْها مع حق الرجوع إلى الدول الأعضاء أي

دون الإخلال بمسألة اعتمادها أو اتخاذ إجراء آخر بشأنها مستقبلاً. انظر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 71/133.

[بالإنجليزية]. مُتاح على الرابط:

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

التصرف المتمثل في عمل أو إغفال يُنسب إلى الدولة بمقتضى القانون الدولي ويشكّل خرقاً للالتزام دولي على الدولة¹⁶⁸ (التأكيد مضاف ولم يرد في النص الأصلي). وفضلاً عن ذلك، "يُعد تصرف أي جهاز من أجهزة الدولة فعلاً صادراً عن هذه الدولة"¹⁶⁹ بما في ذلك التصرفات التي تقوم بها وحداتها العسكرية أو "الأشخاص أو الكيانات التي تمارس بعض اختصاصات السلطة الحكومية"¹⁷⁰، بما في ذلك الضباط العسكريون والساسة.

ويقتضي القانون الدولي من جميع الدول أن "تحتزم وتكفل احترام" أحكامه بموجب المادة الأولى المشتركة بين اتفاقيات جنيف. ويشمل هذا الالتزامات الإيجابية والسلبية الواقعة على عاتق الدولة التي تقدم مساعدة لدولة أخرى تُستخدم بعد ذلك في ارتكاب انتهاك للقانون الدولي الإنساني.¹⁷¹ والالتزامات السلبية هي عدم تشجيع أطراف أي صراع على ارتكاب انتهاكات للقانون الإنساني الدولي وعدم معاونتها أو مساعدتها على ارتكابها.¹⁷² ومن بين الالتزامات الإيجابية اتخاذ خطوات استباقية لمنع الانتهاكات إذا كان ثمة احتمال لوقوعها ومنع وقوع المزيد من الانتهاكات إذا كانت قد وقعت بالفعل.¹⁷³

لذلك قد تكون الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا وغيرها من الدول المشاركة في العمليات العسكرية في إطار "عملية العزم الصلب" مسؤولة قانونياً عن أعمال غير مشروعة قام بها أعضاء في التحالف. كما إن مشاركة ضباط عسكريين كبار من دولتي بريطانيا وفرنسا في المستويات العليا لهيكل قيادة "عملية العزم الصلب" تؤكد أيضاً إمكانية الاشتراك في المسؤولية عن أعمال غير مشروعة دولياً. فعلى سبيل المثال، كان نائب قائد "عملية العزم الصلب" خلال عملية الرقّة قائداً عسكرياً بريطانياً وهو الجنرال روبرت جونز. وتولى ضباط عسكريون يمثلون فرنسا وأستراليا كذلك مناصب قيادية داخل التحالف. والأوامر والقرارات الصادرة عن هؤلاء الضباط تحمّل دولهم المسؤولية عن عمل أو إغفال فيما يتصل بأية أفعال غير مشروعة ارتكبتها طائراتها أو قواتها العسكرية، أو ارتكبتها آخرون تسيطر عليهم أو توجههم أو تساعدهم.

واجب التحقيق والمحاكمة وتقديم تعويضات

يقع على عاتق الدول واجب التحقيق في جرائم الحرب التي يُزعم ارتكابها على أيدي قواتها أو مواطنيها أو في أراضيها ومحاكمة الأفراد المشتبه في ارتكابهم لتلك الجرائم إذا توفرت أدلة مقبولة كافية. كما يجب على الدول أن تحقق أيضاً في جرائم الحرب الأخرى التي تقع في نطاق اختصاصها، بما في ذلك اختصاصها من خلال الولاية القضائية العالمية، ومحاكمة المشتبه بهم عند الاقتضاء.¹⁷⁴

ويتعيّن على الدولة المسؤولة عن انتهاكات للقانون الدولي الإنساني تقديم التعويض الكامل عما تسببت به الانتهاكات من خسائر أو أذى.¹⁷⁵ وبالإضافة إلى ذلك تكفل "المبادئ الأساسية والمبادئ التوجيهية بشأن الحق في الانتصاف

www.un.org/en/ga/search/view_doc.asp?symbol=A/RES/71/133

¹⁶⁸ المصدر السابق، المادة 2.

¹⁶⁹ المصدر السابق، المادة 4.

¹⁷⁰ المصدر السابق، المادة 5.

¹⁷¹ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016، "تعليق على اتفاقية جنيف الأولى"، الفقرة 154.

¹⁷² اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016، "تعليق على اتفاقية جنيف الأولى"، الفقرات 158-161.

¹⁷³ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016، "تعليق على اتفاقية جنيف الأولى"، الفقرة 164.

¹⁷⁴ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 158.

¹⁷⁵ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، "دراسة في القانون الدولي الإنساني العرفي"، القاعدة 150.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

والجبر لضحايا الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي" واجب الدول تقديم الإنصاف الفعال، بما في ذلك جبر الضرر للضحايا. وتحدّد هذه الوثيقة الشكل المناسب للجبر، بما في ذلك رد الممتلكات والتعويض وإعادة التأهيل والترضية وضمان عدم التكرار، حسبما ورد في المبادئ من 19 إلى 23.¹⁷⁶

¹⁷⁶ "المبادئ الأساسية والمبادئ التوجيهية بشأن الحق في الانتصاف والجبر لضحايا الانتهاكات الجسيمة للقانون الدولي لحقوق الإنسان والانتهاكات الخطيرة للقانون الإنساني الدولي" ("المبادئ الأساسية بشأن الحق في الانتصاف والجبر")، اعتمدت وأعلنت على الملأ بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 60/147 بتاريخ 16 ديسمبر/كانون الأول 2005، وثيقة الأمم المتحدة رقم: A/RES/60/147.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

9. نتائج وتوصيات

يدّعي التحالف أن حملته الجوية الدقيقة كانت تتيح له قصف مواقع تنظيم "الدولة الإسلامية" خارج مدينة الرقة دون أن يتسبب ذلك إلا في أقلّ القليل من الإصابات بين المدنيين، إلا إن هذه الادعاءات لا تصمد أمام الفحص. واستناداً إلى المعلومات التي توصلت إليها منظمة العفو الدولية من خلال تحقيقاتها الميدانية، وكذلك المواد الإخبارية العامة، فقد تبين أن الضربات الجوية وعمليات القصف المدفعي التي شنتها قوات التحالف أدّت إلى مقتل مئات المدنيين، وإلى إصابة كثيرين آخرين. وتبدو الضربات الجوية، التي يعرضها التقرير الحالي تفصيلاً، إما عشوائية أو غير متناسبة أو الاثنين معاً، ومن ثم فهي غير مشروعة، ويُحتمل أن تشكّل جرائم حرب. وتُعدّ الحالات الموثّقة هنا مجرد مثال على نمط أوسع، وهي تثير بواعث قلق شديد، وينبغي إجراء تحقيقات وافية ومستقلة بشأنها. ويجب الإقرار بالأخطاء، وتحليل الأسباب التي أدت إليها، وأخيراً استخلاص الدروس والتعلم منها.

ويُسلّم التقرير الحالي بأن الأساليب التي اتبعتها تنظيم "الدولة الإسلامية" قد خلقت مناخ عملياتٍ ينطوي على تحديات بالنسبة لقوات التحالف و"قوات سوريا الديمقراطية". إلا إن هذه التحديات لا تبرر التناقص عن اتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة للحد من الأضرار في صفوف المدنيين. فدول العالم تتحمل المسؤولية عن انتهاكات القانون الدولي الإنساني، ويقع على عاتقها واجب التحقيق في هذه الانتهاكات، وتوفير الإنصاف للضحايا. كما إن هذه الدولة مُلزّمة، في حالة وجود أدلة على وقوع جرائم حرب، بمحاكمة المسؤولين عنها.

توصيات موجّهة إلى الدول الأعضاء في التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية

تدعو منظمة العفو الدولية الدول الأعضاء في التحالف بقيادة الولايات المتحدة إلى اتخاذ الإجراءات التالية، باعتبار ذلك أمراً ملحقاً:

- الالتزام الكامل بقواعد القانون الدولي الإنساني في تخطيط وتنفيذ الضربات الجوية وغيرها من الهجمات، بما في ذلك إلغاء الهجمات التي تنطوي على خطر أن تكون عشوائية أو غير متناسبة أو غير ذلك من المخاطر التي تجعلها غير مشروعة؛
- الكف عن استخدام الأسلحة المتفجرة ذات التأثير على نطاق واسع، مثل قذائف المدفعية وقذائف الهاون، بالقرب من المناطق الأهلة بالمدنيين، وذلك تماشياً مع مبدأ حظر الهجمات العشوائية وغير المتناسبة؛
- افتراض وجود المدنيين في كل مبنى عند التعامل مع مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية"، وذلك بالنظر إلى احتمال لجوء تنظيم "الدولة الإسلامية" إلى استخدام المدنيين كدروع بشرية، ومن ثم تعديل الأساليب الحربية لوضع وجود المدنيين في الاعتبار؛

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

- اتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة للحد من الأضرار في صفوف المدنيين، بما في ذلك توجيه تحذيرات فعّالة سلفاً بوجود هجمات وشيكة للسكان المدنيين في المناطق المعنية، ويشمل ذلك، كلما أمكن، توجيه النصح للمدنيين بطرق الإجلاء المحتملة؛
- ضمان التزام "قوات سوريا الديمقراطية" بقواعد القانون الدولي الإنساني، بما في ذلك الكف عن استخدام قذائف الهاون بالقرب من المناطق المدنية، والكف عن نهب ممتلكات المدنيين؛
- ضمان وضع خطط دقيقة لإجلاء المدنيين وتقديم مساعدات إنسانية لهم، وتخصيص اعتمادات مالية كافية لها في وقت مبكر من تخطيط العمليات العسكرية، بما يكفل توفير ما يكفي من الطعام والمياه والمأوى والرعاية الطبية على وجه السرعة للمدنيين الذين يُشردون من ديارهم بسبب هذه العمليات العسكرية.

إجراء تحقيقات والإعلان عن نتائجها

- الإقرار علناً بمدى وفداحة إزهاق أرواح مدنيين وتدمير ممتلكات وسبل عيش من جراء الضربات الجوية لقوات التحالف خلال العملية العسكرية لإخراج تنظيم "الدولة الإسلامية" من مدينة الرقة؛
- نشر المعلومات اللازمة للتحقق من ملاسبات وفاة مدنيين خلال العملية العسكرية، وتحديد المسؤولية عن ذلك، وبالأخص:
 - تاريخ وتوقيت كل من الضربات التي نُقّذتها قوات التحالف، وموقعها على وجه الدقة، والأسلحة المستخدمة فيها، والهدف المقصود من ورائها
 - تحديد أي من قوات الدول الأعضاء في التحالف نُقّذت كل ضربة
 - الإجراءات التي أُتخذت للتحقق من عدد الضحايا الموجودين بالقرب من الأماكن التي استهدفتها الضربات، وكذلك الاحتياطات التي أُتخذت للحد من الأضرار للمدنيين والأعيان المدنية؛
- الإعلان عن نتائج أية تحقيقات أُجريت حتى الآن لتحديد مدى الخسائر البشرية والمادية في صفوف المدنيين، أي عدد المدنيين الذين قُتلوا وأصيبوا، وعدد الممتلكات المدنية ومرافق البنية الأساسية المدنية التي دُمرت أو أُصيبت بأضرار من جراء الضربات الجوية لقوات التحالف؛
- الإعلان عن المنهجية التي أُتبعت في أي تحقيق أُجرى بخصوص الضربات التي شنتها قوات التحالف، أو التي نُسبت لقوات التحالف، وأسفرت عن قتل وإصابة مدنيين، وبالأخص:
 - توضيح ما إذا كانت قد أُجريت أية زيارات لمواقع عقب تعرضها لضربات، وما إذا كانت قد أُجريت مقابلات مع الناجين أو الشهود أو أهالي الضحايا، وبيان الحالات التي أُجريت فيها هذه الزيارات والمقابلات، إن كانت قد تمت؛
- الإفصاح علناً عن نتائج جميع التحقيقات بشأن الخسائر في صفوف المدنيين أو ما لحق بالأعيان المدنية من دمار وأضرار بسبب الضربات التي شنتها قوات التحالف، بما في ذلك ما إذا كانت التحقيقات قد توصلت إلى أن أية هجمات تُعد انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني، وما إذا كانت هناك أية تعويضات قد قُدمت للضحايا، وما إذا كان المشتبه في مسؤوليتهم عن تلك الانتهاكات قد حُوسبوا؛
- المبادرة على وجه السرعة بإنشاء آلية مستقلة ونزيهة تتولى إجراء تحقيقات فعّالة وعاجلة في الأبناء الموثوقة عن وقوع انتهاكات للقانون الدولي الإنساني، والإعلان عن نتائج هذه التحقيقات؛
- البدء على وجه السرعة في إجراء مراجعة عاجلة للإجراءات العسكرية المتبعة لتقييم الخسائر في صفوف المدنيين، وذلك بهدف تحديد المثالب الإجرائية وتصحيحها. ويجب الإعلان عن نتائج هذه المراجعة في وقت ملائم وبشكل يتسم بالشفافية.

المحاسبة والتعويض

- إنشاء الآلية اللازمة لتقديم التعويض الكامل على وجه السرعة لضحايا الانتهاكات وعائلاتهم، بما في ذلك التعويض المالي، ورد الحقوق إلى أصحابها، وإعادة التأهيل، والترضية، وضمان عدم تكرار الانتهاكات. ويجب

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

- أن تتسم هذه الآلية بالشفافية، وأن يكون بمقدور المدنيين في سوريا الوصول إليها، وأن تضمن تقديم التعويضات على نحو يخلو من التمييز؛
- تخصيص وتوفير الموارد المالية الكافية، وضمان وضع جميع التدابير التشريعية والتنظيمية لتقديم التعويضات للضحايا؛
- ضمان محاكمة أي من أفراد قوات التحالف ممن تتوفر أدلة يُعتمد بها على مسؤوليتهم عن ارتكاب جرائم حرب، وذلك وفق إجراءات محاكمة عادلة، ودون اللجوء إلى عقوبة الإعدام؛
- إنشاء آلية تكفل استخلاص الدروس والتعلم منها، وتضمن أن تُنفذ الضربات في عمليات التحالف العسكرية الجارية حالياً في سوريا على نحو يتماشى بشكل كامل مع قواعد القانون الدولي الإنساني.

المساعدات الإنسانية وتطهير الذخائر التي لم تنفجر

- ضمان توفير الأمن والمأوى والخدمات لمن سُردوا من ديارهم بسبب النزاع في الرقّة، وذلك لحين تمكنهم من العودة طواعية وبأمان إلى ديارهم وإعالة أنفسهم؛
- ضمان أن تكون تلك المساعدات على أعلى مستوى ممكن من الجودة، وأن تُقدم طبقاً للاحتياجات، وبشكل يخلو من التمييز، وضمان عدم منع النازحين بشكل تعسفي من العودة إلى مدينة الرقّة؛
- ضمان توفّر الموارد والمعدات والخبرات اللازمة للانتهاء في أقصر وقت ممكن من تطهير الذخائر التي لم تنفجر والعبوات الناسفة العشوائية في مدينة الرقّة. وفي الوقت نفسه، توفير الدعم لتقديم برامج للتوعية، تعريف السكان بمخاطر الذخائر التي لم تنفجر والعبوات الناسفة العشوائية؛
- تقديم التمويل اللازم للمساعدات الإنسانية من أجل تمكين المدنيين من العودة إلى الرقّة، وإنشاء آلية بالتشاور مع تجمعات العائدين، لضمان تصميم البرامج بما يتلاءم مع المتطلبات على الأرض، وكذلك لضمان تقديم المساعدات على نحو يخلو من التمييز؛
- يجب على المانحين الحاليين البدء فوراً في مراجعة برامج المساعدة الخاصة بهم في الرقّة، للتأكد من أنها تلبي الاحتياجات الأكثر إلحاحاً للسكان العائدين. ويجب أن تتم هذه المراجعة بالتشاور مع قطاع عريض من المستفيدين في المجتمع، وأن تُضمن مشاركة النساء؛
- ضمان توفر خطط لتمويل المساعدات الإنسانية وعمليات تطهير الذخائر التي لم تنفجر في الرقّة، وذلك لتقديم الدعم اللازم على المدى الطويل.

توصيات موجّهة إلى "قوات سوريا الديمقراطية"

تدعو منظمة العفو الدولية "قوات سوريا الديمقراطية" إلى اتخاذ الإجراءات التالية:

إجراء تحقيقات والإعلان عن نتائجها

- الإعلان عن المعلومات اللازمة للتحقق من ملابسات مقتل مدنيين خلال العملية العسكرية، وتحديد المسؤولية عن ذلك، وبالأخص الإفصاح عن تفاصيل كاملة بخصوص جميع بيانات الإحداثيات التي قُدمت لقوات التحالف لتنفيذ الضربات الجوية وعمليات القصف المدفعي، بما في ذلك المواقع المستهدفة لهذه الضربات؛
- ضمان إتاحة الفرصة أمام سكان الرقّة لتسجيل شكاوى لدى سلطات "قوات سوريا الديمقراطية" ضد أفراد من هذه القوات بخصوص أي سلوك خلال العملية العسكرية في الرقّة أو ما بعدها، وذلك دون خوف من التعرض لأعمال انتقامية؛

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

- ضمان إجراء تحقيقات وافية ومستقلة بخصوص جميع الادعاءات والشكاوى التي تُقدّم ضد أفراد من "قوات سوريا الديمقراطية"، واستبعاد جميع الذين ارتكبوا، أو أمروا بارتكاب، انتهاكات للقانون الدولي الإنساني من صفوف القوات، وضمان محاسبة المسؤولين عن هذه الجرائم.

توصيات موجّهة إلى "مجلس الرقّة المدني"

تدعو منظمة العفو الدولية "مجلس الرقّة المدني" إلى اتخاذ الإجراءات التالية:

المحاسبة والتعويض

- إنشاء مكاتب داخل مدينة الرقّة وحولها بما يتيح للسكان تسجيل الخسائر والأضرار التي لحقت بهم، وكذلك أية شكاوى بخصوص حوادث وقعت أثناء الحملة العسكرية أو بعدها. ويجب أن يتوفر لهذه المكاتب ما يكفي من العاملين، وأن يكون من السهل الوصول لها بالنسبة للسكان وللمن لا يزالون نازحين؛
- التنسيق مع الدول الأعضاء في التحالف لضمان توفّر إشراف ملائم على تخصيص التعويضات والمساعدات للمدنيين، وذلك لحماية سلامة هذه العملية.

"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقّة بسوريا

منظمة العفو الدولية

منظمة العفو الدولية
حركة عالمية لحقوق الإنسان.
عندما يقع ظلم على أي إنسان فإن
الأمر يهمنا جميعاً.

انضم إلى المحادثة

www.facebook.com/AmnestyArabic



[@AmnestyAR](https://twitter.com/AmnestyAR)



اتصل بنا

info@amnesty.org



[+44 \(0\)20 7413 5500](tel:+442074135500)



"حرب الإبادة"

خسائر فادحة في صفوف المدنيين في مدينة الرقة بسوريا

أدت العملية العسكرية التي شنتها قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على مدى أربعة أشهر، من أجل إخراج الجماعة المسلحة التي تُطلق على نفسها اسم تنظيم "الدولة الإسلامية"، إلى قتل مئات المدنيين، وإصابة كثيرين آخرين، فضلاً عن تدمير معظم أبنية المدينة. وقد حوَّص سكان الرقة مع انتشار القتال في شوارع المدينة بين مقاتلي تنظيم "الدولة الإسلامية" ومقاتلي "قوات سوريا الديمقراطية" التي يقودها الأكراد، فضلاً عن تعرض المدينة للضربات الجوية وعمليات القصف المدفعي التي شنتها قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة. وقد زرع تنظيم "الدولة الإسلامية" ألغاماً على طرق الهروب، وكان قنَّاصوه يطلقون النار على مَنْ يحاولون الفرار، ومن ثمَّ لم يعد أمام المدنيين أي مكان آمن. وقد لقيت عائلات بأكملها مصرعها خلال الضربات الجوية لقوات التحالف، حيث قُتل بعضهم داخل بيوتهم، وقُتل البعض الآخر في الأماكن نفسها التي اتخذوها ملجأً، بينما قُتل آخرون وهم يحاولون الفرار. ورغم مرور ثمانية أشهر على العملية، لا يزال التحالف ينكر تلك المأساة الإنسانية التي نجمت عن حملته العسكرية، ولا يزال الضحايا محرومين من تحقيق العدالة أو من الحصول على تعويضات عمَّا لحق بهم. وتهيب منظمة العفو الدولية بالدول الأعضاء في التحالف أن تبادر بإجراء تحقيقات نزيهة على وجه السرعة بخصوص الادعاءات عن انتهاكات القانون الدولي وعن الإصابات في صفوف المدنيين. ويجب على هذه الدول أن تكفل تقديم تعويضات للضحايا، والمساعدة بشكلٍ كافٍ في الأعمال الملحَّة التي تحتاجها مدينة الرقة لإزالة الألغام وإعادة الإعمار.



منظمة العفو
الدولية

رقم الوثيقة: MDE 24/8367/2018

اللغة الأصلية: الإنجليزية

amnesty.org